بسم الله الرحمن الرحيم

نموذج رقم (٨)

جامعة أم القرى

كلية التربية بمكة المكرمة

الدراسات العليا

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية

بعد إجراء التعديلات المطلوبة

الاسم الرباعي : سلافة بنت بكر عبد الله قاضي — **القسم** : التربية الإسلامية والمقارنة

الدرجة العلمية : الماجستير — **التخصص** : تربية إسلامية ومقارنة

عنوان الأطروحة : القيم التربوية المستنبطة من حادثة الإفك

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ،،،

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه والتي تمت مناقشتها بتاريخ ١٤٢٠/٢/١١هـ بقبول الأطروحة بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم فإن اللجنة المذكورة توصي بإجازة الأطروحة في صيغتها النهائية المرفقة كمتطلب تكميلي للدرجة العلمية المذكورة أعلاه . والله الموفق .

أعضاء اللجنة

المشرف	**مناقش من القسم**	**مناقش من خارج القسم**
الاسم:د.نايف حامد همام الشريف	د.السعيد محمود السعيد عثمان	د.عويد بن عياد المطرفي
التوقيع :		

يعتمد /رئيس قسم التربية الإسلامية والمقارنة

أ.د. محمود محمد كسناوي

---

* يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة .

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
عمادة الدراسات الجامعية للطالبات
كلية التربية بمكة المكرمة
قسم التربية الإسلامية والمقارنة

﴿ القيم التربوية المستنبطة من حادثة الإفك ﴾

بحث مكمل لمتطلب الحصول على درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة

مقدم إلى :
قسم التربية الإسلامية والمقارنة
كلية التربية – جامعة أم القرى

إعداد الطالبة : سلافة بكر عبدالله قاضي

إشراف الدكتور / نايف حامد همام الشريف

الفصل الدراسي الأول لعام ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ
خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ
كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ
وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ (١٢) لَّوْلَا
جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ (١٣) وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ
فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤)
إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ
وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ
قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ
(١٦) يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧)
وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩) وَلَوْلَا
فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٢٠)

حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، أخبرني عروة بن الزبير ، وسعيد بن المسيب ، وعلقمة بن وقاص ، وعبد الله بن عبدالله ، عن حديث عائشة حين قال لها أهل الإفك ما قالوا ، وكلٌّ حدثني طائفة من الحديث ، قالت : فاضجعت على فراشي وأنا حينئذ أعلم أني بريئة ، وأن الله يُبرئني ، ولكني والله ما كنت أظن أن الله يُنزل في شأني وحياً يُتلى ، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يَتكلم اللهُ فيَّ بأمرٍ يُتلى ، وأنزل الله عز وجل ﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم﴾ العشر الآيات كلها .

رواه البخاري [٦٩٩٠]

ملخص الرسالة

عنوان الرسالة : ,,القيم التربوية المستنبطة من حادثة الإفك ,, .
اسم الباحثة : سلافة بكر عبد الله قاضي
أهداف الرسالة : تهدف الرسالة إلى استخلاص أهم المبادئ التربوية المتضمنة في حادثة الإفك ، وتحقيقاً لذلك حاولت الباحثة الإجابة على الأسئلة التالية :

١. ما هي صفات و ملامح شخصية السيدة عائشة رضي الله عنها ؟
٢. ما هي الأحداث التاريخية لقصة الإفك من بعض كتب الحديث و السيرة ؟
٣. ما هي أهم المبادئ و القيم التربوية الفردية و الأسرية و الإجتماعية التي يمكن استنباطها من الحادثة ؟
٤. ما هي التطبيقات التربوية الفردية المعاصرة المتعلقة بالفرد و الأسرة و المجتمع و المستنبطة من الحادثة ؟

واستخدمت الباحثة في الدراسة ثلاثة من مناهج البحث ،وهي :

- المنهج التاريخي : وذلك للحصول على ترجمة موجزة لحياة السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها وللحصول على الأحداث الحقيقية لتفاصيل حادثة الإفك .
- المنهج الوصفي .
- المنهج الاستنباطي .

وقد قسمت الدراسة إلى ستة فصول رئيسية ، هي :

الفصل الأول : وهو الفصل التمهيدي ، وقد اشتمل على المقدمة وأهمية الموضوع وأهدافه ومنهجه والدراسات السابقة .
الفصل الثاني : نبذة مختصرة عن حياة السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها .
الفصل الثالث : موجز لحادثة الإفك كما وردت في بعض كتب الحديث و السيرة والتاريخ .
الفصل الرابع : القيم التربوية المستنبطة من حادثة الإفك .
الفصل الخامس: تطبيقات تربوية معاصرة للقيم التربوية المستمدة من حادثة الإفك .
الفصل السادس : ويتضمن الخاتمة والنتائج والتوصيات .

ويمكن إيجاز أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة فيما يلي :

١. إن محنة الإفك كانت محنة قاسية وشراً وبلاءً في ظاهرها ، إلا أن فيها الكثير من أوجه الخير والرفعة للرسول صلى الله عليه وسلم ، وصحابته ، والمجتمع المؤمن .
٢. إن حادثة الإفك أبرزت منهجاً إسلامياً فريداً في كيفية مواجهة الشائعات والسبيل إلى مقاومتها ومحاربة مروجيها .
٣. ضرورة تحكيم شرع الله تعالى والحرص على الرجوع إلى المصادر الإسلامية في كل الأمور صغيرةً وكبيرة، دينية ودنيوية.
٤. إن وسائل الإعلام بكل أجهزتها تؤدي دوراً مهماً وحيوياً في سبيل نشر الحق والعدل والخير إذا ما استخدمت الاستخدام الصحيح ، وأنها قد تكون معول هدم وخراب إذا ما استخدمت لنقل الأخبار الكاذبة و الشائعات .

أما أهم التوصيات التي توصي بها الباحثة فهي كما يلي :

أولاً : ضرورة توفر القدوة الصالحة في البيئة الاجتماعية التي يعيشها الفرد .
ثانياً : التعويد على أسلوب التفكير العلمي والمنطقي عن طريق تنمية عادة القراءة والإطلاع والتعويد على استخدام أسلوب الملاحظة العلمية .
ثالثاً : ضرورة اتخاذ الخطوات الوقائية العملية لتوفير أسباب الوقاية للفرد ، والحفاظ على المجتمع من انتشار المنكرات الاجتماعية ، وذلك عن طريق العديد من الإجراءات العملية .

الباحثة	المشرف	عميد الكلية
سلافة بكر عبد الله قاضي	د. نايف حامد همام الشريف	د. صالح بن محمد السيف

إهداء

إلـى أمـي ..

التي كانت ترعاني حتى نهاية المطاف ، وما زالت بجانبي بدعواتها . حفظها الله تعالى وعافاها .

إلـى أبـي ..

الذي غرس بذرة العِلم في نفسي ، رحمه الله تعالى وغفر له .

إلـى إخـواني وأخـواتـي ..

الذين لم يدخروا جهداً في سبيل إسعادي ومساعدتي .

إلـى زوجـي ..

الذي وقف إلى جانبي وساندني من أجل إكمال هذا المشوار ، والذي تحمَّل الكثير من المشاق ، وكان له الفضل العظيم في تشجيعي على إتمام هذا البحث .

إلـى هـؤلاء .. أهـدي هـذا البحـث

شُكر وتقدير

يقول الله تعالى : ﴿رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾

[النحل : ١٩]

أتوجه إلى الله عزَّ وجلَّ بالحمد والشُكر الجزيل على توفيقه إياي الذي أعانني على إنجاز هذا العمل ، ويسَّر لي إتمامه .

ثم أتقدم بالشُكر العميق والتقدير إلى مشرفي الفاضل سعادة الدكتور / نايف حامد همام الشريف ، الذي كان لتوجيهاته وإشرافه على هذه الرسالة بالغ الأثر في إخراجها على ما هي عليه .. فجزاه الله عنّي خير الجزاء .

كما أتقدم بالشكر إلى سعادة الأستاذ الدكتور / عويد بن عياد المطرفي ، والدكتور / السعيد محمود عثمان ، لتفضلهما بقراءة هذا البحث ، وقبولهما مناقشة هذا العمل المتواضع .

وأود أن أخص بالشكر والعرفان أخي العزيز الدكتور / عبدالملك بكر قاضي ، على ما بذله من جهد ومساعدة رغم كثرة مشاغله وتعدد مسؤولياته ، وأسأل الله تعالى له ولنا التوفيق والسداد لما يحب ويرضى .

وأخيراً أشكر الأستاذ الفاضل / سيد عمر ، على وقته وجهده في طباعة هذا البحث ومراجعته ، وأشكر كل من ساهم في إخراج هذا البحث المتواضع في صورته النهائية ، فجزاهم الله خير الجزاء ، وتقبَّل منا ومنهم صالح الأعمال إنه سميعٌ مجيب الدعاء .

الباحثة

المحتويات

الفصل الأول
خطة البحث

الفصل الأول
خطة البحث

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، ولي الصالحين ، وأشهد إلا إله إلا الله ، وحده لاشريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أشرف المرسلين ، وإمام المجاهدين المتقين ، وخيرة الصابرين ، وأفضل خلق الله أجمعين ، وحجة الله على العالمين ، الذي بعثه الله هادياً ومربياً ومعلماً ﷺ وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ، الذين كانوا نماذج يُقتدى بهم ، وعلى من نهج نهجهم ، واقتفى أثرهم بإحسان إلى يوم الدين .

و بعد ... لقد شرَّف الله تعالى هذه الأمة بحمل الرسالة ، وأداء الأمانة ، ونشر الدين ، ويسَّر لهم السبيل لأداء هذه المهمة ، بأن وضع لهم منهجاً إلهياً متكاملاً يتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

فالقرآن الكريم هو المنهج الإلهي المتكامل الذي يشمل جميع الأحكام والآداب المتعلقة بحياة الفرد والأسرة والجماعة ، والسنة النبوية الشريفة هي التطبيق العملي لذلك المنهج الإلهي ، وعن طريقها ثبت الكثير من الأحكام الشرعية والعملية ، والاجتماعية ، والدينية .

وقد سخَّر الله تعالى لهذه الأمة من يحفظ لها سيرة نبيها ، وسيرة سلفها الصالح وينقلها للأجيال المتعاقبة جيلاً بعد جيل حتى وصلت إلينا .

وحتى يستقيم حال المجتمع المسلم لابد أن يستفيد المسلم من هذه الأحكام والآداب ، ويستخلص من وقائعها وأحداثها ما يفيده في حياته الحاضرة والمستقبلية ، حيث أن هذه الأمة لن تصلح إلا بما صلح به أولها .

وقد نظمت هذه الأحكام والآداب الإلهية سمات المجتمع الإسلامي المثالي الذي أقامه رسول الله ﷺ ، والذي ينبغي أن تحتذي حذوه المجتمعات الإسلامية لتحقيق الغاية من وجودها ، وتستحق الخيرية التي وصفها الله تعالى بها بقوله عز وجل ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

وعلى الرغم من أن المجتمعات تختلف بعضها عن بعض في بعض النواحي ، كاللغة والعادات والأعراف والتقاليد ، إلا أن الهدف الأول والأسمى الذي أمر الله به جميع عباده هو تحقيق العبودية لله تعالى . يقول عز وجل ﴿ **وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ [الذاريات : ٥٦] . وهذه هي مهمة التربية الإسلامية .

وقد حدد النحلاوي (١٤٠٣هـ) مهمة التربية الإسلامية بانها " تنمية فكر الإنسان ، وتنظيم سلوكه وعواطفه على أساس الدين الإسلامي ، وبقصد تحقيق أهداف الإسلام في حياة الفرد والجماعة ، أي في كل مجالات الحياة " (ص٢٧) .

ولكي يمكن تحقيق هذا الهدف ، لابد من اتخاذ وسائل وأساليب ، والتوصل إلى مبادئ وقوانين تعتمد كلها على تثبيت العقيدة أولاً وترسيخها ، ثم تأتي بعد ذلك التربية السلوكية العملية .

ويؤكد هذا جمال (١٤٠٠هـ) فيقول : " والآيات القرآنية والأحاديث النبوية في هذا المعنى كثيرة لانحصيها عدداً في هذا الفصل ، وهي تؤكد إن الإسلام يسعى في تربية الفرد والجماعة عن طريق إصلاح (العقيدة) أولاً ، وهو بذلك يحمل معه ضمانات تطبيقية وتحقيقية ، بعد أن تتاصل العقيدة المؤمنة الصالحة في نفوس معتنقيه ، لذلك قال الرسول ﷺ لمن سأله عن طريق النجاة ، أو حقيقة الدين : **«قل آمنت بالله ثم استقم»**" أي أن العقيدة أولاً ، ثم السلوك ثانياً .

فبدون تطبيق هذه العقيدة لن يامل المسلمون في نجاح عملية تربية الفرد ، ولا في إصلاح الأسر ، أو النهوض بالمجتمع .

وقد أوكل المجتمع مهمة التربية هذه إلى باحثين متخصصين في مجال التربية الإسلامية ، فكان دورهم هو البحث والتقصّي عن المناهج والمبادئ التربوية المضمنة في القرآن الكريم ، والسنة النبوية المشرَّفة باعتبار أنهما المصدران الأولان والأساسيان في الشريعة الإسلامية ، وذلك من أجل تأصيل الأفكار والمعتقدات ، وإيجاد التطبيقات التربوية .

والسيرة النبوية مليئة بالأحداث والمواقف المتضمنة الكثير من العِبر والدروس التربوية والاجتماعية التي تتصف بالمرونة والقابلية للتطبيق مهما طال عُمْر الأمة الإسلامية .

ومن هذه الأحداث ، حادثة الإفك ، وهي حادثة معروفة ومشهورة في التاريخ الإسلامي ، اتُّهِمت فيها السيدة عائشة رضي الله عنها ، زوج رسول الله ﷺ ، وأم المؤمنين ، الصديقة بنت الصديق ، الذي كان زواجه منها مرتباً من الله تعالى ، وتوثيقاً للصلة بينه وبين أحب الناس إليه ﷺ

وقد استغل المنافقون هذه الحادثة من أجل أن ينالوا من شخص رسول الله ﷺ ، ويطعنوا في الدين والرسالة ، عن طريق اتهام السيدة عائشة رضي الله عنها في عِرضها .

ولكن الله تعالى رد كيد الكائدين في نحورهم ، وأظهر الحق وأبطل الباطل ، وأنزل البراءة من السماء قرآناً يُتلى إلى يوم القيامة . وأصبحت هذه الحادثة مما يزيد هذا الدين قوة ورسوخاً وثباتاً بعد أن أراد المنافقون ، والذين في قلوبهم مرضٌ أن يجعلوها ثغرة ، ونقطة ضعف في بنيان المجتمع الإسلامي . حيث ظهر بها الحقد الدفين الذي امتلئت به قلوب المنافقين على أمهات المؤمنين .

وقد اشتملت هذه الحادثة على مبادئ وقيم تربوية وقواعد اجتماعية ساهمت في ترسيخ قواعد المجتمع الإسلامي الدينية والأخلاقية والتربوية . وبها امتحن الله تعالى قلوب المؤمنين وكشف عن زيف المنافقين .

لذلك كله اختارت الباحثة هذا الموضوع لكتابة بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة .

موضوع الدراسة

إن عظمة التربية الإسلامية تكمن في أنها تنطلق من كتاب عظيم كريم شامل متكامل تربوي من لدن حكيم حميد .. وهدف التربية الإسلامية يختلف عن أهداف التربية الحديثة ، أو غيرها من أنواع التربية ، فهي تهدف إلى تربية الإنسان الصالح . ويقول القاضي (١٤٠١هـ) عن التربية الصالحة بأنها " إنما تحاول التوصل إلى الفطرة التي فطر الله الناس عليها . والإسلام هو دين الفطرة في أحكم نسق وأكمله ، لأنه جاء من لدن حكيم عليم ، على لسان نبينا محمد ﷺ . الذي أُرسل للناس كافة ، ليخرجهم من ظلمات الجهل والكفر والتعدي والفرقة والأذى وارتكاب المحرمات ما ظهر منها وما بطن ليخرجهم إلى ضياء العلم والمعرفة ، وتوحيد الله الواحد الأحد ، وإيقاف التعدي والاقتتال ، والدعوة إلى التعاون والتآخي والتآزر ، والحث علي رفع الأذى والابتعاد عن المحرمات ، والالتزام بالمباح الطيب، لأن فيه الخير ، كل الخير للناس أجمعين ، دون تفريق أو تمييز " (ص١٤٧ ، ١٤٨) .

وبذلك تسمو التربية الإسلامية فوق كل النظم التربوية الأخرى ، فهي ترسم للإنسان منهج حياته ، وتحدد سلوكه وعلاقاته ، وتنظم مختلف أمور حياته ، وتسعى لسعادته في الدارين ، ولهذا " تعتبر التربية الإسلامية فريضة إسلامية ، وشريعة الله للبشر ، والعمل بهذه الشريعة يستلزم تهذيب الإنسان ، وتعديل سلوكياته حتى يصلح لحمل الأمانة وتحقيق الخلافة ، وهذا التهذيب وتعديل السلوك هو التربية الإسلامية " (النحلاوي ، ١٤٠٣هـ ، ص١٨) . يقول الله عز وجل ﴿ **إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً** ﴾ [الأحزاب : ٧٢] .

فلا تحقيق لهذه الشريعة إلا بتربية الفرد والأسرة والمجتمع على الإخلاص لله تعالى وعبادته ، والعمل وفقاً لشريعته ، وهنا تأتي أهمية التربية الإسلامية ، ودورها الفعال في تنشئة الأفراد ، وتكوين

الأسر ، والنهوض بالمجتمعات الإسلامية .

فإذا كان هدف التربية الإسلامية هو تربية الإنسان المسلم الصالح الذي يحقق العبودية لله تعالى ، وإذا كان هدف التربية الإسلامية هو بناء الإنسان من جوانبه المختلفة من منظور إسلامي ، فإن هذه التربية لابد أن تكون مستمدة من توجيهات القرآن الكريم ، والاقتداء بسيرة النبي المصطفى ﷺ وتاريخ السلف الصالح ، ومواقف أمهات المؤمنين رضوان الله تعالى عليهن . فسيرة رسول الله ﷺ "قدوة باقية مدة بقاء الإنسان على جه الأرض ، يتربى الناس على هديه ، ويقرأون سيرته فيجدون الترجمة الحية للقرآن (كان خُلُقُه القرآن) فيؤمنون به نبياً ورسولاً ومربياً حكيماً ، ويحققون تلك الصفات في نفوسهم ، ويكونون هم أيضاً قدوة لأجيال بعدهم ، وبذلك تقوم المبادئ الفاضلة التي دعا إليها القرآن في حياة الناس" (المقري ، ١٣٩٨هـ ، ص ١٩) .

والمربِّي الجيد هو الذي يمكنه أن يستغل المواقف المختلفة في السيرة النبوية من أجل تحقيق هدف التربية ، لأن هذه المواقف ليست خاصة بزمن معين ، أو أشخاص معينين ، ولكنها تصلح لكل زمان ولكل مكان .

والمربِّي الجيد هو الذي يستمد أساليبه التربوية من حياة الرسول ﷺ ، وشخصيته الفريدة التي كانت تشتمل على عدد من الجوانب داخل الشخصية الواحدة ، فهو الإنسان العادي ، والزوج والقائد ، والمربِّي والسياسي والمحارب ، ورئيس الدولة والداعية إلى الله ، والرسول النبي المبلِّغ . ويتضح ذلك جلياً من خلال حادثة الإفك وموقفه ﷺ من تلك القضية الحساسة .

تلك الحادثة التي عالجها ﷺ بأسلوب تربوي حكيم ، ومنهج تربوي متكامل ، وأرسى من خلالها قواعد وأحكاماً وآداباً اجتماعية وأخلاقية تتعلق بالأفراد والأسر والمجتمعات . واستطاع ﷺ

أن يوجه هذه المحنة التي ألمت به في تعديل سلوكيات المجتمع المدني في تلك الفترة ، وتربيته عقدياً وسلوكياً ، فكانت في حد ذاتها منهج حياة وتربية .

إن موضوع هذه الدراسة يدور حول ملابسات حادثة الإفك ، والقيم والمبادئ التربوية المستنبطة منها على مستوى الفرد والأسرة والجماعة ، مع سرد تطبيقات تربوية معاصرة للقيم التربوية المستنبطة من هذه الحادثة التي تعتبر بحق جريمة بشعة اتهم بها " بيت النبوة الطاهر الكريم ، وعرض رسول الله ﷺ أكرم إنسان على الله ، وعرض صديقه الصدِّيق أبي بكر رضي الله عنه ، أكرم إنسان على رسول الله ﷺ ، وعرض رجل من الصحابة صفوان بن المعطَّل رضي الله عنه يشهد رسول الله ﷺ أنه لم يعرف عليه إلا خيراً ، وهو يشغل المسلمين في المدينة شهراً من الزمان" (قطب ، ١٤٠٥هـ، ص٢٤٩٤) .

فحين عجز المنافقون عن محاربة الدعوة الإسلامية عسكرياً ومواجهة الند للند ، اتجهوا إلى الوسائل الخفية عن طريق الدس والوشاية والوقيعة بين المسلمين ، وإشاعة الفاحشة ، فاستغلوا تأخر السيدة عائشة رضي الله عنها عن الجيش وتولوا كبر هذا الحديث ، وافترى عبدالله بن أبي بن سلول ما افتراه على عَرض رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام . وأنهم ـ المنافقون ـ لما عجزوا عن التصدي للدعوة الإسلامية ، والوقوف في وجه انتشار الدين الإسلامي ، ومنع رسول الله ﷺ من القيام بدوره وتبليغ رسالته ، لجأوا إلى أسلوب التشكيك والطعن في شخصية رسول الله ﷺ ، وهم بهذا الأسلوب يقصدوا الحط من الناحية الخُلقية للدعوة الإسلامية ، ويشعلوا الفتنة داخل المجتمع الإسلامي لينشغل بها المسلمون عن الدعوة والدين .

وفعلاً انتشرت الشائعة من لسان إلى لسان ، ومن بيت إلى بيت ، حتى وصلت رسول الله

ﷺ ، وأبا بكر الصديق رضي الله عنه ، ثم بلغت عائشة رضي الله عنها ، وعانى المجتمع المدني من آثار تلك الشائعة مدة من الزمن تأخر فيها نزول الوحي لحكمة يعلمها الله تعالى ، حتى نزلت سورة النور بالبراءة ، ونزل قوله تعالى ﴿ **إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم** ﴾ حتى قوله تعالى ﴿ **الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات ، والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ، أولئك مبرأون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم** ﴾ [النور : ١١ — ٢٦] .

واصبحت هذه الحادثة في السورة الكريمة دستوراً تشريعياً وأخلاقياً وتربوياً واجتماعياً وسلوكياً .

دستوراً اهتم بتنظيم العلاقات بين الأفراد ، ووضع آداباً ومبادئ تربوية تضمن للفرد سعادة الدارين ، كالصبر على الابتلاء ، والثقة بالله تعالى ، والتوكل عليه ، وضرورة المسارعة إلى التوبة والاستغفار لله تعالى ، وإحسان الظن بالآخرين ، وعدم الخوض في أعراض الغير .

دستوراً نظم العلاقات الأسرية بين الأزواج ، وبين الآباء والأبناء ، وحث على ضرورة إقامة بنيان الكيان الأسري على حُسن المعاشرة ، والمعاملة بالمعروف ، والرأفة والرحمة والمودة والاحترام المتبادل بين الطرفين .

دستوراً وضّح الآداب الاجتماعية التي تكفل للمجتمع الإسلامي أسس صلاحه ، ورقيّه واستمراره ، وتحفظه من الضعف والتمزق والانهيار .

هذا بالإضافة إلى تشريع بعض الحدود الشرعية مثل حد القذف . وعلى الرغم من شدة تلك المحنة التي مرت بالمسلمين ، إلا أن الله تعالى جعل فيها خيراً كثيراً ناله المسلمون في تلك الحقبة من الزمان ، ويستفاد منه ما أبقى الله الأرض ومن عليها .

وعلى الرغم من النواحي السلبية التي في حادثة الإفك ، إلا أنها مقارنة بالنواحي الإيجابية لاتكاد تذكر .

وقد حصر هذه النواحي الإيجابية العبداللطيف (١٤١٠هـ) في كتابه عن حديث الإفك في النقاط الآتية :

١ – أوضح بجلاء خُبث اليهود والمنافقين ، وتآمرهم من أجل الكيد للإسلام وأهله ، والقضاء على الإسلام .

٢ – وجوب أخذ الحذر من أعداء الأمة الإسلامية بصفة عامة ، وأن العدو الداخلي أشد خطراً على الأمة من أعدائها المحاربين علناً .

٣ – بينت الحادثة حرمة المسلم ، وقدره عند الله ، وأهمية صون أعراض المسلمين من التلوث والافتراء ، والنهي عن الغيبة والنميمة .

٤ – تجلت في الحادثة وجوه للخير تمثلت في خمسة أوجه هي : تبرئة السيدة عائشة رضي الله عنها ، وإكرامها بنزول قرآن في شأنها ، والأجر الجزيل لها مقابل الفرية الشنيعة ضدها ، وموعظة للمؤمنين ، والانتقام من المفترين .

٥ – ضرورة إقامة أحكام الله كاملة ، وتنفيذها حتى تحفظ المجتمعات الإسلامية ، وتُصان أعراضها (ص٢١٩ – ٢٢٦) .

ويمكن إضافة أثر إيجابي آخر وهو أن هذه الحادثة لفتت الانتباه إلى ظاهرة اجتماعية خطيرة لها آثار مدمرة إن لم يتصد لها المجتمع ويحاربها ، وهي ظاهرة الإشاعات .

فهي تؤثر في الأفراد والجماعات ، وتؤدي إلى فوضى اجتماعية ، وفتنة تؤدي إلى الانهيار ، قد قيل عنها أنها إذا وجدت سلاحاً يملك قوة الديناميت ، وسرعة الصاروخ ، ومراوغة الحرباء ، وسُم الحية ، وخُبث الثعلب ، وخِسة الضبع ، وجُبن الأرنب ، فتأكد أنك عثرت على سلاح فتاك اسمه "الشائعة" ، وهو سلاح قاتل يخفي الحقائق ، ويُظهر الأكاذيب ، ويظلم الأبرياء ، ويهدم البيوت ، ويُعكر صفو الأسر ، ويترك وراءه الفرقة والشقاق .

هذ ا المرض لابد أن يقابله المجتمع الإسلامي بالعلاج الفعال والعاجل ، بأن ينشر التوجيه القرآني و التعليم النبوي الخاص بهذا الموضوع ، بأن يحذر من الكذب ، ويبين مخاطره وعواقبه ، وأن يتثبت من الحديث ويستوثق من صحة الخبر قبل الحُكم حتى لاتحدث الفتنة ويقع الشر .

إن كل ما سبق يبين مدى الحاجة إلى دراسة مثل هذه الموضوعات الحيوية ، وهو السبب الذي جعل الباحثة تختار هذا الموضوع لتجعله مجالاً لبحثها ، فهذه الحادثة بها من العِبر والعِظات للمسلمين الشى الكثير ، كما أنها تقوي معنوياتهم ، وتثبت أن الله تعالى ينصر المظلوم ، ويقف في صف الضعفاء .

وهي حادثة امتحن الله بها قلوب المؤمنين ، وابتلى بها الرسول ﷺ ومن معه ، وامتحنهم حتى يكونوا قدوة ومثل لمن بعدهم ، يضرب على مدى القدرة وتحمل الصعاب ، ومواجهة الباطل والشدائد ، فصبروا وصابروا ورابطوا فنصرهم الله ، وأبدلهم سيئاتهم حسنات .

ويستطيع الباحث المدقق في هذه الحادثة أن يستفيد الكثير من القيم والمبادئ التربوية التي ينبغي أن يسير عليها المسلم ، ويجعلها منهجاً يسير من خلاله ويلتزم به .

أهمية الموضوع ، الدراسة

المجتمع الإسلامي مجتمع متماسك ، يوصف بأنه جسد واحد كالبنيان المرصوص ، إذا أصيب فيه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمَّى . لذلك عمل الإسلام على حماية هذا المجتمع ، ووضع له الآداب والنظم والسلوكيات التي تحفظه وتصونه ليعيش في طهارة ونظافة ، ويتعاون أفراده لإقامة الحدود ، ونشر الفضيلة . (جاد ، ١٤١٣هـ ، ص١١) .

وبالنظر إلى حال المجتمعات الإسلامية في هذا الوقت الحاضر ، وما هي عليه من بُعد عن منهج الله ، وعن هدي خير العباد ، والتأمل في وضعها ومكانتها بين المجتمعات الأخرى ، ندرك أنها تعاني من تخلف وضمور وتبعية في كافة مجالات الحياة العامة ، وفي مجال التربية خاصة . كما نرى إلى أي حدٍ هي في حاجة ماسة إلى التربية العملية السلوكية المتمثلة في شخص رسول الله ﷺ وسيرته لتقتدي بها ، وتتّبع خطاها حتى تصل إلى ما وصلت إليه الأمة الإسلامية في أوج عزها وازدهارها . وإلى أي حدٍ هي في حاجة إلى الصورة الكاملة للمنهج الإسلامي ، والنموذج الأعلى للشخصية الإسلامية ، والمنهج التربوي الذي تسير عليه الأمة في تربية أبنائها . يقول تعالى : **﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾** [الاحزاب : ٢١].

إن السيرة النبوية تمثل منهاجاً تربوياً متكاملاً ، وهي مصدر غني بأساليب التنشئة الاجتماعية الصالحة ، ولابد من إبراز هذه الأساليب ، واستنباط القيم والمبادئ التربوية والمُثُل العليا منها .

ونحن باعتبارنا أمة مسلمة ، لابد أن تكون تربيتنا مستمدة من شريعتنا التي جاء بها محمد ﷺ قدوتنا ومثلنا الأعلى ، والذي يعتبر كل عمل يقوم به ، أو قول ، أو مجرد إشارة هي بمثابة شرع

لنا لابد أن نتبعه . ﴿ **وماينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى** ﴾ [النجم : ٢] .

إن من كمال تشريع الإسلام أن جعل الله عز وجل هذا الدين يشتمل على الضوابط والقيود التي تحمي أفراده وأسره ومجتمعاته من كل سوء يتربص بها ، وحفظ للمسلمين أعراضهم ، وحمى لهم حُرماتهم .

وعلى الرغم من هذا ، إلا أن حادثة الإفك تبين أن البعض ـ رغم كل هذه المحاذير ـ خالفوا أمر الله ، واتهموا بعض أزواج النبي ﷺ ، وهي عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها ، وسببوا آلاماً شديدة لأطهر قلوب البشرية جمعاء ، قلب المصطفى ﷺ .

" لقد كانت معركة خاضها رسول الله ﷺ وخاضتها الجماعة المسلمة يوم ذاك ، وخاضها الإسلام ، معركة ضخمة ، لعلها أضخم المعارك التي خاضها رسول الله ﷺ ، وخرج منها منتصراً كاظماً لآلامه الكبار ، محتفظاً بوقار نفسه ، وعظمة قلبه ، وجميل صبره . فلم تدل كلمة واحدة على نفاذ صبره ، وضعف احتماله ، والآلام التي تناوشه ، لعلها أعظم الآلام التي مرَّت به في حياته، والخطر على الإسلام من تلك الفرية من أشد الأخطار التي تعرض لها من تاريخه" (الشائع ، ١٤١٤هـ ، ص٧١) .

وعلى الرغم من شدة المحنة التي مرَّت بها الأمة الإسلامية خلال ذلك الشهر ، وخلال هذه الحادثة ، إلا أنها خرجت منها وهي أشد قوة وثباتاً ، وتحقق فيها قول الله تعالى ﴿ **وعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً** ﴾ [النساء : ١٩] .

إن دراسة هذا الموضوع تبين كيف عالج الرسول ﷺ أحداث قصة الإفك ، وتبرز ما فيها من إصلاح اجتماعي ، وتربية إسلامية ، وحكمة تصرف ، وسياسة حكيمة منعت فتنة عظيمة كادت أن تقع ، وخلافاً كبيراً كادت أن تتعثر فيه الأمة الإسلامية .

كما يتجلى فيها الكثير من الصفات الشخصية والأسرية والاجتماعية ، التي لابد أن يتحلى بها المسلم ، كالحِرص على مصلحة الدين والدعوة ، وتقديمها على جميع المصالح الشخصية الأخرى، والصبر والتسامح والحكمة . كما " تأتي أهمية حديث الإفك من خلال الآثار الجسيمة للشائعة المدمرة التي تناولت هذا الحديث ، وتأثير ذلك في نفوس ضعيفي الإيمان ، وبلبلة أفكارهم ، وتشكيكهم في نزاهة الرسول ﷺ ونقاء عرضه الكريم ، بل وعرض أعظم بيت في الإسلام ، وهو بيت أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه ، باعتبار أن عائشة رضي الله عنها بنت أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه . كما تأتي هذه الأهمية من خلال دور المنافقين في بث هذه الشائعة وترويجها ، إلى جانب ما قاموا به من حِيَل ومناورات بمكر وخداع ، يكيدون للإسلام كيداً ، فهم أخطر من الكفار شأناً ، لأنهم يبطنون غير ما يقولون ، لذلك كانوا سبباً في عرقلة مسيرة الإسلام ، وتشويه صورة الرسول ﷺ وأصحابه الأطهار ، وسبباً في تفريق جماعة المسلمين ، وتمزيق وحدتهم ، وتشتيت صفوفهم" (رشوان ، ١٤١٥هـ ، ص ١٢) .

إن في هذه الحادثة جوانب من منهج الرسالة الخاتمة ، دينية ، واجتماعية ، وسلوكية ، يمكن تطبيقها عملياً ، وجعلها مبادئ وأسس يُرجع إليها لإصلاح حاضر ومستقبل الأمة الإسلامية ، وبها تستطيع أن تقف في مواجهة الشعور بالنقص الذي تُعاني منه الأمة ، والجري وراء النظريات التربوية الحديثة .

وتبرز أهمية هذا الموضوع في معرفة الأثر التربوي لهذه الحادثة ، واستنباط مجموعة من المبادئ والقِيم التربوية من خلالها ، ومن خلال معرفة الظروف المحيطة بها ، ومواقف شخصياتها المتهمين فيها، والخائضين ، والناقلين لها . ومما يزيد من أهمية هذه الدراسة أن موضوعها لم يُفرد بالبحث من الناحية التربوية ، رغم أنه من الموضوعات الحيوية ، والتي لها علاقة مباشرة بحياة المسلم واستقراره النفسي والأسري والاجتماعي .

إن هذه الدراسة ـ بعون الله تعالى ـ يمكن أن يستفيد منها ، ومن تطبيقاتها التربوية فئات مختلفة في المجتمع المسلم ، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر :

* **المحيط الإعلامي** .. وذلك في التنبيه على خطورة الشائعات وتداولها بين الأفراد ، ودفعهم للعمل من أجل إيجاد الوسائل المعالجة لها .
* **القائمون على التربية** .. ففي هذه الحادثة منهج تربوي يفيد القائمين على التربية في الوصول من خلاله إلى العلاج الفعال لمشكلات الفرد والأسرة والمجتمع التربوية ، وصياغة الشخصية الإسلامية على أساس التربية الإيمانية المتكاملة المتمثلة في هذه الحادثة ، واستنباط أساليب تربوية إسلامية من حياة الرسول ﷺ مع أصحابه وأزواجه .
* **الدعاة** .. وذلك في كيفية مواجهة الزوابع التي تُثار حولهم ، وأن يعلموا أنهم حين يُستهدفون ، فالمقصود هو دعوتهم ، وعلمهم ، وأثرهم في الناس ، وليس شخصهم ، فيقتدوا بسلوك رسول الله ﷺ في مواجهة الأزمات ، والصبر على الابتلاءات ، كما صبر أولوا العزم من الرسل في سبيل الدعوة إلى الله ، ومن أجل مصلحة الدين الإسلامي . يقول الله تعالى ﴿ **وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون** ﴾ [السجدة : ٢٤] .
* **المجتمع الإسلامي** .. يستفيد من هذه الدراسة من خلال معرفة أساليب التربية الاجتماعية الإسلامية البارزة في هذه الحادثة ، وتربية الناشئة على أساس من التكافل والتعاون الاجتماعي بين أفراد الأمة الإسلامية ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر .
* **الأسرة المسلمة** .. تستطيع أن تحمي عِرضها وسُمعتها ، وتقيم بنيانها على أسس إيمانية سليمة ، وقواعد أخلاقية قويمة ، من خلال القِيم والمبادئ التربوية المستنبطة من هذه الحادثة .

أهداف الدراسة

نظراً لما في هذه الحادثة من جوانب تربوية كثيرة ومتعددة ، وجوانب من منهج رسالة الإسلام، خُلقية ، واجتماعية ، وتشريعية ، فإن الهدف من البحث هو استخلاص منهج الرسالة الخاتمة الخالدة من خلال الوقائع والأحداث التي وردت إلينا في كتب التفاسير ، والأحاديث عن حادثة الإفك ، والتأسي برسول الله ﷺ وأسلوبه في توجيهه للأحداث ، وذلك من خلال الأهداف الآتية :

١ – الاستنارة بما في سيرة السيدة عائشة رضي الله عنها من مواقف وسلوكيات عظيمة يمكن أن تتخذ قدوة .

٢ – عرض تاريخي موجز لحادثة الإفك .

٣ – استخلاص القِيم والمبادئ التربوية من حادثة الإفك ، والتي لها علاقة مباشرة بالفرد والأسرة والمجتمع المسلم .

٤ – استنتاج التطبيقات التربوية المعاصرة التي لها علاقة بالفرد والأسرة والأمة الإسلامية .

تساؤلات الدراسة

تهتم هذه الدراسة بالإجابة على السؤال الرئيسي :

﴿ما هي القيم التربوية المستنبطة من حادثة الإفك ؟﴾

وتتفرع عن هذا السؤال تساؤلات فرعية أخرى :

١ – ماهي أهم ملامح وصفات السيدة عائشة وسلوكياتها ومواقفها التي لها أثر تربوي يمكن الاستفادة منه والاقتداء به ؟

٢ – ماهي الأحداث الحقيقية التاريخية لقصة الإفك المستخلصة من بعض كتب الحديث والسيرة؟

٣ – ما هي أهم القيم التربوية الفردية والأسرية والاجتماعية التي يمكن استنباطها من الحادثة ؟

٤ – ما هي التطبيقات التربوية المعاصرة المتعلقة بالفرد والأسرة والمجتمع ، والمستنبطة من الحادثة ؟

منهج الدراسة

تعتمد هذه الدراسة على المصادر الأساسية : القرآن الكريم ، وكتب التفاسير القرآنية ، وكتب الأحاديث النبوية ، وكتب السيرة ، لمعرفة وقائع حادثة الإفك وتفاصيلها ، واستنباط القِيم والمبادئ التربوية المتضمنة فيها ، ولذلك ر أت الباحثة أن أنسب المناهج لهذه الدراسة هي المناهج : التاريخي ، والوصفي ، والاستنباطي .

فالمنهج التاريخي .. "يهتم بجمع الحقائق والمعلومات من خلال دراسة الوثائق والسجلات والاثار ، ويستخدم هذا الأسلوب في دراسة الظواهر والأحداث والمواقف التي مضى عليها زمن قصير أو طويل ، فهو مرتبط بدراسة الماضي وأحداثه . ولاتتوقف الدراسة التاريخية عند حدود الماضي ، بل تتابع دراسة الظاهرة حتى تتوصل إلى دلالات تساهم في فِهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل" (عبيدات وآخرين ، ١٩٨٩م ، ص١٧٣) .

وقد استخدمت الباحثة هذا المنهج عند جمع المعلومات عن تاريخ السيدة عائشة رضي الله عنها، وتتبع سيرتها الذاتية في كتب التاريخ والسيرة من أجل معرفة أثر نشأتها في ذلك المحيط الإسلامي والنبوي ، والخروج بعِظات وعِبر يُستفاد منها في استنباط القيم التربوية التي يمكن أن تستفيد منها الأمة الإسلامية ، أفراداً وجماعات .

والمنهج الوصفي .. "يوصف ماهو كائن ، وتفسيره ، وهو يهتم بتحديد الظروف والعلاقات التي توجد بين الوقائع . كما يهتم أيضاً بتحديد الممارسات الشائعة أو السائدة ، والتعرف على المعتقدات والاتجاهات عند الأفراد والجماعات ، وطرائقها في النمو والتطور . ولايقتصر البحث الوصفي على جمع البيانات وتبويبها ، وإنما يمضي إلى ما هو أبعد من ذلك ، لانه يتضمن قدراً من التفسير لهذه البيانات ، ولذلك

كثيراً ما يقترن الوصف بالمقارنة " (جابر وكاظم ، ١٩٩٠م ، ص١٣٤) .

وقامت الباحثة بتحليل أحداث قصة الإفك ، ووصف وقائعها ، بالإضافة إلى جمع المعلومات عنها من خلال كتب الحديث والسيرة والتفاسير .

أما المنهج الاستنباطي .. فيحتاج إليه بعض الباحثين خاصة في مجال التربية الإسلامية ، وذلك لأنهم يهدفون إلى معرفة مبادئ وقيم وتوجيهات تربوية من خلال تحليل النصوص ، واستخلاص المبادئ التربوية منها بالاعتماد على أدلة واضحة . وقد عرفت هذه الطريقة بأنها : "الطريقة التي يقوم بها الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة" (فوده وآخرين ، ١٣٩٥هـ ، ص٤٢) .

هذا وقد كان دور الباحثة بعد الرجوع إلى كتب تفسير القرآن ، وكتب الحديث ، وكتب السيرة هو استنباط بعض القيم والمبادئ والمضامين التربوية من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة الخاصة بحادثة الإفك ، والمتعلقة بالفرد والأسرة والمجتمع .

مصطلح الدراسة

الإفك : هو الاختلاق والافتراء والبهتان على الصالحين الفاضلين ، وهو أشد أنواع الكذب .

ويقصد به في هذه الدراسة : القول الذي افتراه عبدالله بن أبي بن سلول على السيدة عائشة رضي الله عنها ، حين اتهمها في عِرضها مع الصحابي صفوان بن المعطِل السُلمي رضي الله عنه ، وتناقل هذه الفرية أفراد من المجتمع المدني ، وأصبحت شائعة تقال على كل لسان .

ويعرف الشوكاني (د.ت) الإفك بأنه : " أسوأ الكذب وأقبحه ، وهو مأخوذ من إفك الشئ إذا قلبه عن وجهه ، فالإفك هو الحديث المقلوب ، وقيل هو البهتان ، وأجمع المسلمون على أن المراد بما في الآية ما وقع من الإفك على السيدة عائشة ، أم المؤمنين رضي الله عنها ، وإنما وصفه الله بأنه إفك، لأن المعروف من حالها رضي الله عنها خلاف ذلك " (ص١٢) .

ويقول ابن منظور (د.ت) عن الإفك في لسان العرب : " الكذب ، أَفَكَ يَأفِك ، وأَفَكَ يأفَك إذا كذب . ويقال : أفك كذب ، وأفك الناس : كذبهم وحدثهم بالباطل . وفي حديث عائشة ، رضوان الله عليها ، حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا ، الإفك في الأصل الكذب ، وأرادوا هنا ما كذب عليها مما رميت به. والإفك : الإثم . والإفك : الكذب . والجمع الأفاك . ورجل أفاك وأفيك وأفوك : كذاب " (ص٣٩٠) .

الدراسات السابقة

بعد الاطلاع على دليل كلية التربية بجامعة أم القرى ، ودليل مركز الملك فيصل للأبحاث ، والاتصال بمركز الأبحاث في الرياض ، ومركز البحوث التربوية والنفسية بجامعة أم القرى ، وفي حدود ما اطلعت عليه الباحثة ، لم تجد أي دراسة علمية ـ سواء كانت رسالة ماجستير أو دكتوراه ـ تناولت حادثة الإفك بالدراسة من الناحية التربوية ، وكانت ذات صلة مباشرة بموضوعها ـ القيم التربوية المستنبطة من حادثة الإفك .

إنما وجدت بعض الدراسات التي تشير إلى الحادثة ، إمَّا بتفسير آيات الإفك ، أو تحقيق نصوص مفسرة ، أو التعرض للحديث عن الحادثة في سياق الحديث عن السيدة عائشة رضي الله عنها ، أو الحديث عن النفاق والمنافقين .

وكانت حصيلة ما وجدت الباحثة الآتي :

الدراسة الأولى

وهي بعنوان : **"حديث الإفك كما جاء في سورة النور وأثر المنافقين فيه"**

وهي رسالة ماجستير مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود ، قسم أصول الدين ، القرآن وعلومه . وهي رسالة مكونة من مقدمة وثلاثة أبواب ، كل باب مقسَّم إلى عدة فصول ، بالإضافة إلى الخاتمة .

* **الباب الأول** .. وهو عبارة عن أربعة فصول تدور كلها عن النفاق ، مظاهره ، ودوافعه ، ومعنى النفاق ، وآثاره في المجتمع الإسلامي ، وأهداف المنافقين للكيد للإسلام ، وموقف القرآن

منهم، وموقف عبدالله بن أبي رأس النفاق في الدعوة إلى الإسلام .

* **أما الباب الثاني** فيدور حول حديث الإفك ومفهومه ، ورواياته ، وآثاره ، وموقف الرسول ﷺ والصحابة منه ، وعلاقة المنافقين بالحادثة ، كما تعرض الباب للحديث عن الإشاعات ، وبين ما هو توجيه القرآن للمسلمين إزاء مثل هذا الحادث ، كما تعرض للحديث عن شبهات المستشرقين والرد عليها .

* **أما الباب الثالث** فهو يتحدث عن القذف ، وصلته بالإفك ، ومعناه ، وموجباته ، وعقوبته، وآراء الفقهاء فيه ، وحد القذف ، وحكم قذف أمهات المؤمنين .

والفرق بين هذه الدراسة والدراسة الحالية .. أن هذه الدراسة ركزت الحديث على النفاق والمنافقين وأثرهم في الحادثة ، فمعظم أبواب الدراسة تتحدث عن ذلك فيما عدا جزء معين تحدثت فيه عن موقف الرسول ﷺ وصحابته رضوان الله تعالى عليهم منه ، وعن مفهوم الإفك ، ودوافعه ، وعن الإشاعة . وفي هذا الجزء تتشابه الدراسة السابقة والدراسة الحالية .

***

الدراسة الثانية

وهي بعنوان : "الآداب الاجتماعية كما تصورها سورة النور"

وهي رسالة ماجستير مقدَّمة لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، فرع الكتاب والسنة .

والرسالة مكونة من مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة . المقدَّمة اعتبرها الباحث بمثابة التمهيد للدخول لموضوع الدراسة ، تحدث فيها عن سورة النور ، ما المراد بها ، وسبب تسميتها ، وعلاقتها بما قبلها ، ومعناها الاجتماعي .

* **والباب الأول** يتحدث عن الاستئذان وآدابه .
* **والباب الثاني** تضمن آداب صيانة العِرض .
* **والباب الثالث** فهو عن آداب الطعام بين الأقارب والأصدقاء .
* **وأخيراً الباب الرابع** : الآداب مع الرسول ﷺ وأمهات المؤمنين رضوان الله تعالى عليهن.
* **أما الخاتمة** فقد استعرض فيها الباحث نتائج البحث الذي توصل إليه من خلال تلك الدراسة.

ومن هذه النتائج : أن سورة النور واحدة من سور القرآن التي وضعت منهجاً فريداً في إصلاح الفرد والجماعة ، وأن المحور الأساسي الذي تدور حوله السورة هو إعطاء الدرس التربوي الوجداني لتقويم السلوك الفردي والاجتماعي .

ومن النتائج أيضاً ، أن السورة طرحت الوسائل الوقائية من الأمراض الاجتماعية ، ونظمت العلاقات الأسرية ، بالإضافة إلى أنها تهدف لتكوين جيل مسلم قوي يتربَّى على العفاف والمُثل العليا . كما نظمت العلاقة بين الأمَّة وقائدها ، وذلك من خلال حادثة الإفك .

وأخيراً أوصى الباحث بأن على المجتمع أن يأخذ بما جاء في السورة من معادن نفيسة ، والعمل على تطبيق ما جاء من آداب عظيمة في سورة النور .

والفرق بين الدراستين ، أن الدراسة السابقة ركزت على الآداب الاجتماعية بصفة عامة ، ومن ضمنها الأدب مع أمهات المؤمنين ، من خلال حادثة الإفك ؛ ولم تركز على الجانب التربوي من الحادثة كما هو الحال في هذه الدراسة .

***

الدراسة الثالثة :

وهي بعنوان : "أم المؤمنين عائشة ومروياتها في التفسير "

وهي رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أم القرى ، كلية الدعوة وأصول الدين ، قسم الكتاب والسنة . تحتوي هذه الرسالة على مقدمة ، وتمهيد ، وبابين . المقدمة ، تحدث فيها الباحث عن سبب اختيار الموضوع ومنهجه في البحث ، والتمهيد ، يتكون من مبحثين تحدث فيهما عن نشأة التفسير وأثر المفسرين في عهد الصحابة ، كما تحدث عن أحسن الطرق لتفسير القرآن الكريم ، ومنزلة تفسير الصحابي منها .

* **والباب الأول** يتكلم عن سيرة السيدة عائشة رضي الله عنها ، ومنزلتها من إتقان الرواية والدراية .

* **أما الباب الثاني** فيتضمن الآثار الواردة عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، في تفسير القرآن العظيم .

* **وخُتِمت** الرسالة بخاتمة بيَّن الباحث فيها محتويات الرسالة بصورة موجزة ، وضمّنها عدداً من النتائج والتوصيات ، منها : أن تتبنى مراكز البحوث العلمية في العالم الإسلامي نشر هذه الأعمال وإخراجها في أعمال فنية تتناسب وقدرها ، تعميماً لفوائدها ، وبذلك تتأصل الثقافة الإسلامية عند الأجيال التي يُناط بها قيادة الصحوة الإسلامية .

وتتشابه هذه الدراسة مع الدراسة الحالية في الترجمة لسيرة السيدة عائشة رضي الله عنها ، وفي الحديث عن قصة الإفك ، وموقف النبي ﷺ منها . وتتميز عنها في أنها فسَّرت آيات الإفك في سورة النور . ويعتبر الجانب التربوي هو الجانب الذي ركزت عليه الدراسة الحالية ، وتميزت به عن هذه الدراسة السابقة والدراسات الأخرى .

***

الدراسة الرابعة

بعنوان : "حديث القرآن عن غزوات بني النضير وبني المصطلق والأحزاب"

وهي رسالة ماجستير مقدمة لشعبة التفسير بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة . اشتمل البحث على مقدمة بيَّن فيها الباحث أهمية القرآن ، وسبب اختيار الموضوع ومنهجه ، بالإضافة إلى الموضوعات التي اشتملت عليها الرسالة ، كما اشتملت الرسالة على ثلاثة أبواب .

* **الباب الأول ..** تحدث عن حديث القرآن عن غزوة بني النضير .
* **الباب الثاني ..** تحدث عن حديث القرآن عن غزوة بني المصطلق ، وهو عبارة عن فصلين :

الفصل الأول : ويضم أربعة مباحث تحدثت عن الغزوة من خلال كتب السيرة والتاريخ والأحداث التي سبقت هذه الغزوة ، والتعريف بمن هم بنو المصطلق ، ومتى وقعت الغزوة ، وأسبابها ، وأحداثها ، ونتائجها .

الفصل الثاني : حديث القرآن عن الغزوة ، وتفسير الآيات الواردة في ذلك . ويضم هذا الفصل مبحثين :

المبحث الأول : تضمن تفسير سورة المنافقون .

المبحث الثاني : تضمن تفسير آيات الإفك ، وأهم الآداب والأحكام التي تؤخذ منها .

* **الباب الثالث ..** عن غزوة الأحزاب وحديث القرآن عنها .

وهذه الدراسة ركزت على الناحية التفسيرية ، وأضافت إليها الناحية التاريخية بخلاف الدراسة الحالية التي تركز على الجانب التربوي بالدرجة الأولى ، وتضيف إليه ما يحتاجه من الجانب التاريخي والتفسيري .

***

الدراسة الخامسة

بعنوان : " عائشة أم المؤمنين .. دراسة وتحليل لحياتها الحافلة ، وشخصيتها الفاضلة على ضوء ما ورد الكتاب والسنة " .

وهي رسالة ماجستير مقدمة لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، قسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

وقد قُسِّم هذا البحث إلى إفتتاحية وتمهيد ، وأربعة أبواب ، وخاتمة .

* **الافتتاحية** : ذكرت فيها الباحثة مقدمة البحث ، وحوافز وأسباب اختيار الموضوع وأهميته، والصعوبات التي واجهتها في البحث ، ومجتمع البحث ، والخطة التي اتبعتها في البحث .
* **والتمهيد** .. تحدث عن المرأة بصورة عامة .
* **والباب الأول** : يترجم للسيدة عائشة رضي الله عنها .
* **والباب الثاني** : يتحدث عن خصائصها الشخصية وأخلاقها الفاضلة .
* **والباب الثالث** : بعنوان : نصيبها من التراث الإسلامي .
* **والباب الرابع** : مواقفها في عهد الرسول ﷺ وما بعده .
* **أما الخاتمة** فذكرت النتائج التي توصلت إليها ، ومنها :

١ - بيان منهج الزوجة المثالية من حياتها رضي الله عنها مع الرسول ﷺ ، زوجة تعرف مسؤولياتها ، وواجباتها فتقوم بها ، ومنهج الزوج من حياته ﷺ مع عائشة رضي الله عنها زوجة ، يرعاها ، ويدللها ، ويرفق بها ، ويعلمها ويهذبها .

٢ – بيان أن أكبر خصيصة اختصت بها عائشة رضي الله عنها على زوجاته ﷺ ، وأعظم فضيلة فُضِّلت بها عليهن ، هي قصة الإفك التي ظهرت فيها كرامة عائشة رضي الله عنها ، ومنزلتها ، ومكانتها عند الله عز وجل ، وعند الرسول ﷺ وزوجاته الباقيات ، وعند الصحابة والناس جميعاً .

٣ – حديث الإفك أمر ابتلى الله سبحانه وتعالى به كل المسلمين في تلك الفترة ليظهر فيه المنافقين الآثمين الأفَّاكين ، ويثبِّت المسلمين المؤمنين ، وخاصة الرسول ﷺ، وذلك لبيان صبره ﷺ وثباته ، ولإبقائه الوحي أمراً قائماً بذاته .

٤ – عائشة رضي الله عنها ، تعطينا المثل الرائع العظيم للمرأة النظيفة قلباً وقالباً .

ركزت هذه الدراسة على الترجمة الوافية للسيدة عائشة رضي الله عنها ، بغرض الاستفادة من تلك الحياة الشخصية في تقويم وضع المرأة المسلمة حالياً ، وتصحيحه ، ولكنها لم تتعرض للجانب التربوي ، ولم تفرده بالبحث كما هو الحال بالنسبة لهذه الدراسة الحالية .

***

الدراسة السادسة

بعنوان " مرويات غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع "

وهي رسالة أعدت لنيل الدكتوراة بالعقيدة في جامعة الملك عبدالعزيز ، وتقع في مقدمة وأربعة أبواب . المقدمة ضمَّنها الباحث سبب اختياره للموضوع ، وأهمية عِلم التاريخ ، وضرورة الاهتمام بالسيرة النبوية ، بالإضافة إلى أهم المصادر التي استقى منها الموضوع .

والباب الأول تناول التعريف ببني المصطلق ، نسبهم ، وصلتهم النسبية بقبائل المدينة ، وموقفهم من الإسلام ، وموقف المسلمين من تحركاتهم ، وأشار إلى سبب الغزوة ، وتاريخ وقوعها ، مع وصف لما دار فيها من أحداث وما انتهت إليه من نتائج عظيمة ، ونصر للإسلام والمسلمين ، مبيناً موقف بني المصطلق بعد الغزوة .

أما الباب الثاني ، فهو يتحدث عن المنافقين ودورهم في المجتمع الإسلامي في بداية الدعوة الإسلامية ، وفي هذه الغزوة خاصة ، وأشار إلى أن أسوأ عمل قام به المنافقون على الإطلاق في هذه الغزوة هو اختلاقهم لحادثة الإفك .

والباب الثالث خصصه الباحث للحديث عن قصة الإفك ، فبيَّن من هم الخائضون في الإفك، وتحدث عن مواقف بعض الصحابة ، وإقامة الحد على القاذفين ، كما ذكر بعض الفوائد في المصطلح مستنبطة من حديث الإفك .

أما الباب الرابع فهو بعنوان : الأحكام والعِبر المستنبطة من غزوة المريسيع ، وتحدث فيه عن الأحكام الفقهية الواردة في الغزوة ، وعن العِبر والحِكم المستنبطة من الغزوة .

والفرق بين الدراستين السابقة والحالية ، أن الدراسة السابقة تناولت مرويات غزوة بني المصطلق جمعاً وتحقيقاً ، وبينت الأحكام الفقهية المستنبطة من الحادثة ، بالإضافة إلى الحديث عن الجانب التاريخي ، ولكنها لم تعط للجانب التربوي الأهمية الكبرى ، كما الحال مع الدراسة الحالية.

وأخيراً .. يمكن القول أن مجمل الفرق بين الدراسات السابقة والدراسة الحالية ، وموضوع الاختلاف ، أن هذه الدراسة ركّزت على الجانب التربوي للحادثة ، وسَعَت من أجل استنباط القيم التربوية منها ، والتي تتعلق بالأفراد والأسر والمجتمعات الإسلامية .

أما الدراسات السابقة التي ذكرتها الباحثة ، فهي إمَّا تتناول سيرة السيدة عائشة بالترجمة والدراسة والتحليل ، أو تتحدث عن الغزوة التي حدثت فيها قصة الإفك بتخريج الروايات وتحقيقها، والحديث عن الأحكام الفقهية المستنبطة منها ، أو بتفسير الآيات التي نزلت في شأن هذه الغزوة .

وبعض الدراسات تتحدث عن الآداب الاجتماعية الموجودة في سورة النور ، أو عن النفاق والمنافقين ، وعلاقتهم بالحادثة ، وعن القذف .

أما الجانب التربوي ، فلم تتطرق إليه أي دراسة أخرى من قبل ، وبهذا الفرق تنفرد هذه الدراسة وتتميز .

الفصل الثاني

ترجمة موجزة للسيدة عائشة رضي الله عنها

مستخلصة من كتب الأحاديث والسير

الفصل الثاني
ترجمة موجزة للسيدة عائشة رضي الله عنها مستخلصة من كتب الأحاديث والسير

تمهيد :

" إن حياة السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ صورة صادقة لحياة المرأة المسلمة ، وتطبيق عملي لمكانتها في الكتاب والسنة ، وبيان لهوية المرأة الحقيقية " (طهماز ، ١٤٠٨ ، ص ٩) . "وإذا أراد النساء الحياة الإنسانية الكريمة والحقوق الكاملة العادلة ، فما عليهن إلا أن يقتفين خطوات السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ في هذا المجال ، ويقتدين بها كمثل رفيع للمرأة المسلمة " (طهماز ، ١٤٠٨، ص ٨) . "ولاشك في أن السيدة مدينة بكل جوانب عظمتها إلى النبي ﷺ وتشرفها بالحياة في كنفه عليه الصلاة والسلام " (طهماز ، ١٤٠٨ ، ٧) . " وإن المرأة التي اجتمعت لها خلاصة الرعاية في آداب أمة من الأمم لذات شأن في تاريخ قومها ، ولايسهو عنه باحث موكل بدراسة التاريخ أو دراسة الآداب ، وأعظم من ذلك شأن المرأة التي كتبت لها خلاصة الرعاية في دين من الأديان ، والتي اشتركت في سيرة النبي ﷺ المرسل بذلك الدين ، ونقلت أحاديثه في أحكام شريعته وخطرات ضميره ، ولقيت عنده الحظوة التي لم تلقها واحدة من النساء ، والسيدة عائشة هي هذه وهي تلك " (العقاد ، ١٩٨٨ ، ص٢٢) .

نسبها ومولدها

هي " **عائشة بنت عبدالله بن أبي قحافة** : عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي ، وجمهور أهل النسب على أن اسم والدها عبدالله سماه به النبي ﷺ لما أسلم وكان اسمه من قبل "عبد الكعبة". يقول ابن عساكر : كادت الروايات تجمع على أن اسمه عبدالله ، ولقبه عتيق ، وكني بأبي بكر ، والبكر : الفتى من الإبل . وصح أن رسول الله

ﷺ كان يناديه بكنية ، اشتهر بالصدِّيق من صدق الرسول ﷺ في حادث الإسراء والمعراج" (مبيض، ١٤١٠هـ ، ص٥١٩) .

وأمها : " أم رومان بنت عمير بن عامر بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة ، واختلف في اسمها فقيل : زينب ، وقيل : وعد بنت عامر بن عوسمر بن عبد شمس ، واختلف في نسبها من عامر إلى كنانة ، ولكنهم اتفقوا على أنها من بني فراس بن غنم بن مالك بن كنانة " (مبيض، ١٤١٠هـ ، ص ٥١٩). " وأمها نموذج كريم عن الزوجة الوفية والأم الواعية التي تنظر إلى الأمور بنور البصيرة لتستقيم الحياة الزوجية ، ولذلك أرضعت ابنتها " عائشة " مكارم الأخلاق ، وغذتها بمعالي المكارم لتكون أكرم النساء وأوفى الطاهرات ، وأحدوثة النساء المثلى في الغد القريب فكانت كذلك " (جمعة ، ١٤١٥هـ ، ص ١٠٩) .

" وقد ولدت لأبي بكر عائشة وعبدالرحمن ، وكانت قبل أبي بكر عند عبدالله بن الحارث بن سخبرة فولدت له الطفيل " (ابن هشام ، ١٣٧٥هـ ، ص ٤٣٩ ، ٤٤٠) . " وللسيدة عائشة عدد من الأخوة: عبدالرحمن شقيقها من أم رومان ، وعبدالله بن أبي بكر ، أمه وأم أسماء واحدة ، وهي قتلة أو قتيلة بنت عبدالعزى القرشية العامرية ، وأسماء بنت أبي بكر تزوجت من الصحابي الجليل حواري رسول الله ﷺ وأحد العشرة المبشرين بالجنة الزبير بن العوام ومحمد بن أبي بكر وأمه أسماء بنت عميس الخثعمية ولها من أمها أخ واحد هو الطفيل بن عبدالله بن الحارث " (مبيض ، ١٤١٠هـ ، ص ٥١٩ ، ٥٢٠) . و " عائشة ممن ولد في الإسلام " (الذهبي ، ١٤٠٢هـ ، ٢ / ١٣٩) في السنة الرابعة من الهجرة في أولها (ابن سعد ، ١٤٠٥هـ ، ص ٧٩) ، و" هي أصغر من فاطمة بثماني سنوات ، وكانت تقول : لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين" (الذهبي ، ١٤٠٢هـ، ٢/ ١٣٩) .

كنيتها

" عن عائشة رضي الله عنها قالت : يارسول الله كل صواحبي لهن كنية غيري . قال : «**فاكتني بابنك عبدالله بن الزبير**» ، فكانت تدعى بأم عبدالله حتى ماتت " (ابن حنبل ، ١٤١١هـ) . (ابن سعد ، ١٤٠٥هـ ، ٨/٦٦) . " وكانت تلقب أيضاً بالحميراء لأنها كانت امرأة بيضاء جميلة " . (الذهبي ، ١٤٠٢هـ ، ص ١٤٠) .

نشأتها وزواجها

" في أحضان أبوين كريمين نشأت عائشة رضي الله عنها الصديقة بنت الصديق وفتحت عينها على شمس الإيمان وتغذت برحيقه ، وقد اختص الله عز وجل بيت أبي بكر بالصديقية وخصه بالسبق إلى الإسلام وأنعم عليه بالإيمان ، فأبوها الصديق الأكبر شيخ الصحابة وصديق رسول الله ﷺ ، أسبق السابقين بعد خديجة رضي الله عنها ، وقد غرس هذه الخصال الحميدة في أهله وبخاصة ابنته عائشة رضي الله عنها " (جمعة ، ١٤١٥هـ ، ص ١٠٨) .

قال الذهبي (١٤٠٢هـ) : "وكانت رضي الله عنها إمرأة بيضاء جميلة ومن ثم يقال لها : الحميراء ، ولم يتزوج النبي ﷺ بكراً غيرها ، ولا أحب امرأة حبها ، ولاأعلم في أمة محمد بل ولافي النساء مطلقاً امرأة أعلم منها " (٢/١٤٠) .

لما ماتت السيدة خديجة ـ رضي الله عنها ـ " جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون قالت يارسول الله : ألا تتزوج ؟ قال : «**من**» ؟ قالت : إن شئت بكراً وان شئت ثيباً ؟ قال : «**فمن البكر؟**» قالت : ابنة أحب خلق الله ـ عز وجل ـ إليك عائشة بنت أبي بكر ، قال : «**ومن الثيب؟**» قالت : سودة بنت زمعة قد آمنت بك واتبعتك على ماتقول . قال : «**فاذهبي فاذكريهما علي**" . فدخلت على بيت أبي بكر فقالت : ماذا

أدخل الله ـ عز وجل ـ عليكم من الخير والبركة ؟ قالت : وما ذاك ؟ قالت : أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة . قالت : انتظري أبا بكر حتى يأتي ، فجاء أبو بكر فقالت : ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ؟ قال : وماذاك ؟ قالت : أرسلني ﷺ أخطب عليه عائشة، قال : وهل تصلح له ؟ إنما هي ابنة أخيه" .

" فرجعت إلى رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك ، قال : «**ارجعي فقولي له : أنا أخوك وأنت أخي في الإسلام ، وابنتك تصلح لي**» ، فرجعت فذكرت له ذلك ، قال انتظري وخرج ، قالت أم رومان: إن مطعم بن عدي قد كان ذكرها على ابنه ، فوالله ماوعد وعداً قط فأخلفه لأبي بكر . فدخل أبو بكر على مطعم بن عدي وعنده امرأته أم الفتى ، فقالت : ياابن أبي قحافة لعلك مصب صاحبنا مدخله في دينك الذي أنت عليه إن تزوج إليك ، قال أبو بكر للمطعم بن عدي : أقول هذه تقول ؟ قال : إنه تقول ذلك ، فخرج من عنده وقد أذهب الله ـ عز وجل ـ ماكان في نفسه من عدته التي وعده، فرجع فقال لخولة : ادعي لي رسول الله ﷺ فدعته ، فزوجها إياه وعائشة يومئذ بنت ست سنين " .

" ثم خرجت فدخلت على سودة بنت زمعة فقالت : ماذا أدخل الله ـ عز وجل ـ عليك من الخير والبركة ؟ قالت : وماذاك ؟ قالت : أرسلني رسول الله ﷺ أخطبك عليه ، قالت : وددت ، ادخلي إلى أبي فاذكري ذاك له وكان شيخاً قد أدركه السن وقد تخلف عن الحج ، فدخلت عليه فحييته بتحية الجاهلية ، فقال : من هذه ؟ فقالت : خولة بنت حكيم ، قال : فما شأنك ؟ قالت : أرسلني محمد بن عبدالله أخطب عليه سودة ، قال : كفء كريم ، ماذا تقول صاحبتك ؟ قالت : تحب ذلك ، قال : ادعها لي ، فدعيتها ، قال : أي بنية إن هذه تزعم أن محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب قد أرسل يخطبك وهو كفء كريم ، أتحبين أن أزوجك به ؟ قالت : نعم ، قال: ادعيه لي ، فجاء رسول الله ﷺ إليه فزوجها إياه " (ابن حنبل ، ١٤١١هـ) .

وقد سئلت رضي الله عنها : "متى بنى بك رسول الله ﷺ ؟ قالت : لما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة خلفنا وخلف بناته ، فلما قدم المدينة بعث إلينا زيد بن حارثة وبعث معه أبا رافع مولاه وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم أخذها رسول الله ﷺ من أبي بكر يشريان بها مايحتاجان إليه من الظهر وبعث أبو بكر معهما عبدالله بن أريقط الديلي ببعيرين أو ثلاثة ، وكتب إلى عبدالله بن أبي بكر يأمره أن يحمل أهله أمي أم رومان وأنا

وأختي أسماء امرأة الزبير ، فخرجوا مصطحبين ، فلما انتهوا إلى قديد اشترى زيد بن حارثة بتلك الخمسمائة ثلاثة أبعرة رحلوا من مكة جميعاً وخرج زيد بن حارثة وأبو رافع بفاطمة وأم كلثوم وسودة بنت زمعة ، وحمل زيد أم أيمن وأسامة بن زيد ، وخرج عبدالله بن أبي بكر بأم رومان وأختيه ، وخرج طلحة بن عبيدالله واصطحبنا جميعاً حتى إذا كنا بالبيض من منى فرمني بعيري وأنا في محفة معي فيها أمي ، فجعلت أمي تقول : وابنتاه واعروساه !! حتى أدرك بعيرنا وقد هبط من لفت فسلم الله - عز وجل ، ثم إنا قدمنا المدينة فنزلت مع عيال أبي بكر ، ونزل رسول الله ﷺ يومئذ يبني المسجد وأبياتا حول المسجد فانزل فيها أهله ، ومكثنا أياماً في منزل أبي بكر ثم قال أبو بكر : يارسول الله مايمنعك أن تبني بأهلك ؟ قال رسول الله ﷺ : «الصداق» ، فاعطاه أبو بكر الصداق اثنى عشر أوقية ، فبعث بها رسول الله ﷺ إلينا ، وبنى بي رسول الله في بيتي هذا الذي أنا فيه وهو الذي توفى فيه رسول الله ﷺ ، وجعل رسول الله ﷺ لنفسه باباً في المسجد وجاه باب عائشة ، قالت : وبنى رسول الله ﷺ بسودة في أحد تلك البيوت التي إلى جنبي فكان رسول الله ﷺ يكون عندها " (ابن سعد ، ١٤٠٥هـ ، ٨/ ٦٢ ، ٦٣).

وعنها رضي الله عنها أنها قالت : " تزوجني رسول الله ﷺ وإني لألعب مع الجواري ، فما دريت أن رسول الله ﷺ تزوجني حتى أخذتني أمي فحبستني في البيت عن الخروج فوقع في نفسي أني تزوجت ، فما سألتها حتى كانت أمي هي التي أخبرتني" (ابن سعد ، ١٤٠٥هـ ، ٨/٥٨) . وروى عنها أيضاً أنها قالت : " تزوجني رسول الله ﷺ وأنا بنت ست سنين ، ودخل عليٌّ وأنا بنت تسع سنين ، ولقد دخل عليٌّ وإني لألعب مع الجواري فيدخل فيتقمع منه صواحبي فيخرجن فيخرج رسول الله ﷺ فيسربهن عليّ " (الذهبي ، ١٤٠٢هـ ، ٢/ ١٥٠) .

وتروي السيدة عائشة رضي الله عنها خبر بناء الرسول بها ، فتقول : " فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج في السنح ، قالت : فجاء رسول الله ﷺ فدخل بيتنا واجتمع إليه رجال من الانصار ونساء ، فجاءتني أمي وإني لفي أرجوحة بين عذقين ترجح بي ، فأنزلتني من الأرجوحة ولي جميمة ففرقتها ومسحت وجهي بشئ من ماء ، ثم أقبلت تقودني حتى وقفت بي عند الباب ، وإني لأنهج حتى سكن من نفسي ،

ثم دخلت بي فإذا رسول الله ﷺ جالس على سرير في بيتنا ، وعنده رجال ونساء من الأنصار فأجلستني في حجرة ، ثم قالت : هؤلاء أهلك ، فبارك الله لك فيهم وبارك لهم فيك ، فوثب الرجال والنساء فخرجوا ، وبنى بي رسول الله ﷺ في بيتنا ما نحرت على جزور ولا ذبحت على شاة حتى أرسل إلينا سعد بن عبادة بجفنة كان يرسل بها إلى رسول الله ﷺ إذا دار إلى نسائه ، وأنا يومئذ بنت تسع سنين " (ابن حنبل ، ١٤١١هـ ، ٢٥٨٢٧) ، صحيح البخاري (د.ت) ٣٨٩٤ ، ٣٨٩٦ ، ٥١٣٣ ، ٥١٣٤ ، ٥١٥٦ ، ٥١٥٨) .

وروى عن أسماء بنت عميس قالت : " كنت صاحبة عائشة التي هيأتها وأدخلتها على رسول الله ﷺ ومعي نسوة ، فما وجدنا قرى إلا قدحاً من لبن ، فشرب منه ثم ناوله عائشة ، فاستحيت الجارية ، فقلنا : لاتردي يد رسول الله ، خذي منه ، فأخذت منه على حياء ، فشربت ، ثم قال : «**ناولي صواحبك**» ، فقلنا : لانشتهيه ، فقال : لاتجمعن جوعاً وكذباً ، فقلت : يارسول الله ، إن قالت إحدانا لشئ تشتهيه ولاتشتهيه أيعد ذلك كذباً ؟ قال : «**إن الكذب يكتب حتى تكتب الكذيبة كذيبة**» " (الذهبي ، ١٤٠٢هـ ، ٢/١٧٢ ، ١٧٣) .

مطاعن المستشرقين والرد عليها

للمستشرقين مطاعن يحاولون بها النيل من الإسلام وعقيدته وشريعته وكتابه ونبيه ، وقد اتخذوا من زيجات الرسول موضوعاً لهذا الطعن طالما داروا حوله ، وقد حاولوا أن يغمزوا بزواج الرسول ﷺ من فتاة صغيرة ، ولكن فهم هذا الأمر على وجهه الصحيح يقتضي أن نعود إلى علاقة الرسول ﷺ بالسيدة خديجة رضي الله عنها .. " كانت السيدة خديجة - رضي الله عنها - أول زوجات النبي عليه السلام ، وأحبهن إليه ، عاش معها زهاءخمس وعشرين سنة ، ولم يتزوج عليها ، ولا فكر في الزواج بغيرها في حياتها ، مع أنه بنى بها وهو في نحو الخامسة والعشرين وهي في نحو الأربعين ، وبقيت معه إلى أن أوفت على الخامسة والستين ، ثم توفيت حوالي السنة العاشرة بعد الدعوة ، فلم يعرف عنه أنه حزن على أحد قط أشد من حزنه عليها ، ولاأطال الذكرى لأحد قط بعد وفاتها كما أطال ذكراها ، وسمى عام وفاتها «عام الحزن» لأن الحزن لم يفارقه طوال أيامه ، ولم يفارقه - في الواقع بقية حياته كلها - وإن سكنت سورته مع الأيام كما تسكن كل ثورة لاعجة مع ذلك العزم الصادق والقلب الصبور " (العقاد ، ١٩٨٨م ، ص٤٥) .

" وتزوج بالسيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ بعد وفاة السيدة خديجة بسنوات ، فكان التقابل بين الزوجين من أتم ما تأتي به المصادفة في حين تكون المصادفة أحكم من التدبير والتقدير ، ولعل هذا التقابل لم يخل كل الخلو من القصد الخفي ، وإن لم تتجه إليه النية في وضوح" .. "فالفتى اليتيم الذي فجع في حنان الأمومة منذ الطفولة الباكرة لم يكن أنفع له من زوجة كريمة رشيدة كالسيدة خديجة التي أغدقت عليه من حنان الأمومة مافاته في بواكير الطفولة ، وأدركه عطفها وهو يعالج من نوازع الدعوة النبوية ثورة مقيمة مقعدة في سريرة النفس ، ولاتزال بين الجلاء والغموض وبين الإقدام والإحجام ، ولاتزال في هذه الحالة على حاجتها القصوى إلى التثبيت والكلاءة والتشجيع ، أما النبي في الخمسين من عمره فكان أنفع له وأبهج لفؤاده أن يغدق حنان الأبوة على زوجته التي تظفر منه بالحظوة والمودة ، وأن يستروح من شبابها وجمالها نعمة تسعده في جهاده وربيعاً يظلله في وحشة عمره" . (العقاد ، ١٩٨٨م ، ص ٤٥ ، ٤٦) .

" كما أن السيدة عائشة كانت ـ كما يبدو ـ على صغر سنها نامية نمواً سريعاً يؤهلها للزواج بدليل أنها كانت مخطوبة لجبير بن مطعم بن عدي ، يضاف إلى ماسبق أن زواج الرسول من السيدة عائشة كانت له فوائد من بينها تمتين أواصر المحبة والأخوة مع ساعده الأيمن في نشر هذه الدعوة " . (مبيض ، ١٤١٠هـ ، ص ٥٢٤) .

فضلها ومكانتها عند الرسول ﷺ

" كان للسيدة عائشة فضل ومكانة عظيمان تواترت بأخبارهما الأحاديث والآثار ، فهي الصديقة بنت الصديق ، المبرأة من فوق سبع سماوات ، حبيبة رسول الله ﷺ عائشة بنت أبي بكر ، وعرضها عليه الملك قبل نكاحها في سرقة من حرير وقال : هذه زوجتك . تزوج بها في شوال وعمرها ست سنين ، وبنى بها في شوال ولم يتزوج بكراً غيرها ، ومانزل عليه الوحي في لحاف امرأة غيرها ، وكانت أحب الخلق إليه ، ونزل عذرها من السماء ، واتفقت الأمة على كفر قاذفها ، وهي أفقه نسائه وأعلمهن ، بل أفقه نساء الأمة وأعلمهن على الإطلاق ، وكان الأكابر من أصحاب النبي ﷺ يرجعون إلى قولها ويستفتونها " (ابن القيم ، ١٤٠٧هـ ، ١ / ١٠٥ ، ١٠٦) .

وهذا الذي أجمله الإمام ابن القيم فصلته روايات عديدة في كتب السنة والتاريخ ، وقد روى البخاري " أن نساء رسول الله ﷺ كن حزبين فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة ، والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء رسول الله ﷺ . وكان المسلمون قد علموا حب رسول الله عائشة ، فإذا كانت عند أحدهم هدية يريد أن يهديها لرسول الله ﷺ أخرها ، حتى إذا كان رسول الله ﷺ في بيت عائشة بعث صاحب الهدية إلى رسول الله ﷺ في بيت عائشة ، فكلم حزب أم سلمة فقلن لها : كلمي رسول الله ﷺ يكلم الناس ، فيقول : من أراد أن يهدي رسول الله ﷺ هديه فليهدها حيث كان من بيوت نسائه ، فكلمته أم سلمة بما قلن فلم يقل شيئاً فسألنها فقالت : ماقال لي شيئاً ، فقلن لها فكلميه. قالت : فكلمته حين دار إليها أيضاً فلم يقل لها شيئاً، فسألنها فقالت : ماقال لي شيئاً ، فقلن لها : كلميه حتى يكلمك ، فدار إليها فكلمته فقال لها : **«لاتؤذيني في عائشة فإن الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة»** ، قالت : أتوب إلى الله من أذاك يارسول الله ، ثم إنهن دعون فاطمة بنت رسول الله ﷺ فأرسلت إلى رسول الله ﷺ تقول : إن نساءك ينشدنك العدل في بنت أبي بكر ، فكلمته فقال : **«يابنية ، ألا تحبين ماأحب»** ؟ قالت : بلى. فرجعت إليهن فأخبرتهن ، فقلن : ارجعي إليه ، فأبت أن ترجع ، فأرسلن زينب بنت جحش فأتته فأغلظت وقالت : إن نساءك ينشدنك العدل في بنت أبي قحافة ، فرفعت صوتها حتى تناولت عائشة وهي قاعدة فسبتها ، حتى إن رسول الله ﷺ لينظر إلى عائشة هل تكلم ، قال : فتكلمت عائشة ترد على زينب حتى أسكتتها ، قالت : فنظر النبي ﷺ إلى عائشة وقال : **«إنها بنت أبي بكر»** " (صحيح البخاري ، د.ت، ٢٥٨١) .

وروى عنها رضي الله عنها عبدالله بن صفوان أنها قالت : " **لي خلال تسع ، لم تكن لأحد إلا ما آتى الله مريم عليها السلام ، والله ماأقول هذا فخراً على صواحباتي ، فقال ابن صفوان : وماهن؟ قالت : جاء الملك بصورتي إلى رسول الله ، فتزوجني ، وتزوجني بكراً ، وكان يأتيه الوحي وأنا وهو في لحاف واحد ، وكنت من أحب الناس إليه ، ونزل فيَّ آيات ، كادت الأمة تهلك فيهن ، ورأيت جبريل ولم يره أحد من نسائه غيري ، وقبض في بيتي ، ولم يله أحد غير الملك إلا أنا** " (الذهبي ، ١٤٠٢هـ ، ص ١٩٠ ، ١٩١) ، (ورواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٨/٦٣ ، ٦٤) . وزاد فيه : " **ولم ينكح امرأة أبواها مهاجران غيري ، فكنت أغتسل أنا وهو من إناء واحد ولم**

يكن يصنع ذلك بأحد من نسائه غيري ، وكان يصلي وأنا معترضة بين يديه ولم يكن يفعل ذلك بأحد من نسائه غيري ، وقبض الله نفسه وهو بين سحري ونحري" . (ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣٢٢٧٨) .

تفضيل رسول الله ﷺ لها وحبه إياها

مما نقل بصريح اللفظ " عن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ استعمله على جيش ذات السلاسل ، قال : فأتيته . فقلت : يارسول الله ، أي الناس أحب إليك ؟ قال : «**عائشة**» ، قال : من الرجال ؟ قال : «**أبوها**» " (البخاري ، د.ت. ٣٦٦٢) . ورواه (الترمذي ٣٨٨٥ ، ومسلم ٢٣٨٤ ، في فضائل الصحابة ، والطبقات الكبرى ٨/٦٧) .

وروى البخاري في صحيحه في فضلها رضي الله عنها عدة أحاديث منها :

(١) قال رسول الله ﷺ : «**كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**» . (البخاري ، د.ت ،٣٧٦٩ ، ٥٤١٩ ، ٥٤٢٨).

(٢) عن عائشة رضي الله عنها أنها استعارت قلادة من أسماء فهلكت ، فأرسل رسول الله ﷺ ناساً من الصحابة في طلبها فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء ، فلما أتوا النبي ﷺ شكوا ذلك إليه، فنزلت آية التيمم ، فقال أسيد بن حضير ، جزاك الله خيراً ، فوالله مانزل بك أمر قط إلا جعل الله لك منه مخرجاً ، وجعل للمسلمين فيه بركة (البخاري ، د.ت ، ٣٧٧٣).

(٣) أن رسول الله ﷺ لما كان في مرضه جعل يدور في نسائه ويقول : «**أين أنا غداً ؟**» حرصاً على بيت عائشة . قالت عائشة : فلما كان يومي سكن (البخاري ، د.ت ، ٣٧٧٤) .

وعندما نزل قوله تعالى : ﴿ **يأيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً** ﴾ [الأ حزاب ٢٨ ، ٢٩] . بدأ بالسيدة عائشة فقال : «**إني سأعرض عليك أمراً فلا تعجلي به حتى تشاوري أبويك** » فقلت : وما هذا الأمر ؟ قالت : فتلا عليَّ ﴿ **يأيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها** ﴾ إلى قوله ﴿ **فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً** ﴾ قالت عائشة : في أي ذلك تامرني أن أشاور أبوي ؟ بل أريد الله ورسوله والدار الآخرة . فسُرَّ بذلك النبي ﷺ ، وأعجبه وقال : «**سأعرض على صواحبك ماعرضت عليك**» : **قلت** : **فلاتخبرهن** بالذي اخترت فلم يفعل . كان يقول لهن كما قال لعائشة ثم يقول : «**قد اختارت عائشة الله ورسوله والدار الآخرة**» (ابن سعد ، ١٤٠٥هـ ، ٨/٦٨ ، ٦٩) ، (البخاري ، د.ت ، ٤٧٨٥ ، ٤٧٨٦) .

ومن فضائلها العظيمة رضي الله عنها أنها من أزواج النبي ﷺ في الجنة ، فعنها قالت : يارسول الله من من أزواجك في الجنة ؟ قال : «**أما إنك منهن** » فقالت : فخيِّل إليَّ أن ذاك لأنه لم يتزوج بكراً غيري " (الذهبي ، ١٤٠٢هـ ، ٢/١٤٥) ، (ابن سعد ، ١٤٠٥هـ ، ٨/٥١) . وبألفاظ متقاربة : (الذهبي ، ١٤٠٢هـ ، ٢/١٩٠) ..

وقد حدث أن وقع رجل في عائشة يوم الجمل واجتمع عليه الناس فقال عمار : ماهذا ؟ قالوا: رجل يقع في عائشة ، فقال له عمار : اسكت مقبوحاً منبوحاً ، أتقع في حبيبة رسول الله ﷺ إنها لزوجته في الجنة (ابن سعد ، ١٤٠٥هـ ، ٨/٦٥) ، (بالفاظ مقاربة : البخاري ، د.ت ، ٣٧٧) و (الذهبي ، ١٤٠٢هـ ، ٢/١٩٠) . وعن ابن طلحة قال : أخبرت أن رسول الله ﷺ قال : «**لقد أريتها في الجنة ، ليهون بذلك عليَّ موتي كأني أرى كفيها**»، يعني عائشة (ابن سعد ، ١٤٠٥هـ ، ٨/٦٦) .

وقد اختار الرسول ﷺ ـ كما تقدم ـ أن يكون في بيتها في مرض موته ، واستأذن زوجاته في ذلك . وتروي السيدة عائشة وفاته ، تقول : " توفى رسول الله ﷺ في بيتي ، وفي يومي وليلتي ، وبين سحري ونحري ، ودخل عبدالرحمن بن أبي بكر ومعه سواك رطب ، فنظر إليه ، حتى ظننت أنه يريده ، فأخذته فمضغته ونفضته وطيبته ثم دفعته إليه ، فاستن به كأحسن مارأيته مستناً قط ، ثم ذهب يرفعه إلي ، فسقطت يده فأخذت أدعو له بدعاء كان يدعو به له جبريل ، وكان هو يدعو به إذا مرض ، فلم يدع به في مرضه ذاك ، فرفع بصره إلى السماء وقال : «الرفيق الأعلى» وفاضت نفسه، فالحمد لله الذي جمع بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا " (البخاري ، د.ت ، ٤٤٥١) .

ورعها

" جاء ابن عباس رضي الله عنهما يستأذن على عائشة وهي في الموت ، قال : فجئت وعند رأسها عبدالله ابن أخيها عبدالرحمن ، فقلت : هذا ابن عباس يستأذن ، قالت : دعني من ابن عباس، لاحاجة لي به ولابتزكيته ، فقال عبدالله : ياأمة إن ابن عباس من صالحي بنيك يودعك ويسلم عليك ، قالت : فإذن له إن شئت ، قال : فجاء ابن عباس فلما قعد قال : أبشري فوالله مابينك وبين أن تفارقي كل نصب ، وتلقي محمداً ﷺ والأحبة إلا أن تفارق روحك جسدك ، قالت : ايها يا ابن عباس ، قال: كنت أحب نساء رسول الله ﷺ ، يعني إليه ، ولم يكن يحب إلا طيباً ، سقطت قلادتك ليلة الأبواء وأصبح رسول الله ليلقطها فأصبح الناس ليس معهم ماء ، فانزل الله ﴿فتيمموا صعيداً طيباً﴾ فكان ذلك من سببك ، وما أنزل الله بهذه الرخصة من سببك ، ثم أنزل الله تعالى براءتك من فوق سبع سماوات ، فاصبح ليس مسجد يذكر فيه الله إلا براءتك تتلى فيه آناء الليل والنهار ، قالت : دعني يا ابن عباس ، فوالله لوددت لو كنت نسياً منسياً " (الذهبي ، ١٤٠٢هـ ، ٢/١٧٩ ، ١٨٠) .

وقد ظهر تواضعها ـ رضي الله عنها ـ جلياً في حادث الإفك عندما نزل القرآن ببراءتها إذ قالت : "ولكن والله ماكنت أظن أن الله منزل في شأني وحياً يتلى ، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر يتلى " (البخاري ، د.ت ، ٤٧٥٠) .

وكانت رضي الله عنها كثيرة البذل والتصدق ، زاهدة مع بذلها ، فيروي عروة بن الزبير " أن معاوية بعث مرة إلى عائشة بمئة ألف درهم ، فوالله ما أمست حتى فرقتها ، فقالت لها مولاتها : لو اشتريت لنا منها بدرهم لحماً ؟ فقالت : ألا قلت لي . " (الذهبي ، ١٤٠٢هـ ، ٢/١٨٦، ١٨٧). " وبعث ابن الزبير إلى عائشة بمال في غرارتين يكون مئة ألف فدعت بطبق فجعلت تقسم في الناس ، فلما أمست قالت : هاتي فطوري ، فقالت أم ذرة : يا أم المؤمنين ، أما استطعت أن تشتري لنا لحماً بدرهم ؟ قالت : لاتعنفيني ، لو أذكرتيني لفعلت." (ابن سعد ، ١٤٠٥هـ ، ٢/١٨٧) .

" وعن عروة عن عائشة قال : رأيتها تصدق بسبعين ألفاً وإنها لترقع جانب درعها " . (ابن سعد ، ١٤٠٥هـ ، ٨/٦٦) .

مكانتها العلمية

للسيدة عائشة رضي الله عنها مكانة علمية عظيمة لاتسامى ، حتى إن أبا موسى الأشعري كان يقول : " ماأشكل علينا أصحاب محمد ﷺ حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً " (الذهبي ، ١٤٠٢هـ ، ٢/١٧٩) ورواه (الترمذي ، ١٩٧٨م ، ٣٨٨٢) .

وقد أحصى الذهبي مئة وثلاثة وثمانين ممن رووا عنها الحديث ، وأضاف " وطائفة سوى هؤلاء" ، و " مسند عائشة يبلغ ألفين ومئتين وعشرة أحاديث اتفق لها البخاري ومسلم على مئة وأربعة وسبعين حديثاً ، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين ، وانفرد مسلم بتسعة وستين " (الذهبي ، ١٤٠٢هـ ، ص١٣٦ ، ١٣٩) .

ولم يقتصر علمها على رواية الحديث عن الرسول ﷺ ، بل كانت لها مكانة سامية في نفوس أهل العلم ، فكان مسروق إذا حدث عنها قال : "حدثتني الصديقة بنت الصديق ، حبيبة حبيب الله ، المبرأة من فوق سبع سماوات فلم أكذبها " . (ابن سعد ، ١٤٠٥هـ ، ٨/٦٤ ، ٦٦). وقال عطاء بن رباح : كانت عائشة أفقه الناس وأحسن الناس رأياً في العامة ، وقال الزهري : لو جمع علم عائشة إلى علم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل . (الذهبي ، ١٤٠٢هـ ، ص ١٨٥).

" وسئل مسروق : هل كانت عائشة تحسن الفرائض ؟ فقال : اي والذي نفسي بيده ، لقد رأيت مشيخة أصحاب محمد الكبار يسألونها عن الفرائض " . (ابن سعد ، ١٤٠٥هـ ، ٨/٦٦) .

وشهد لها العلماء بالفصاحة والعلم باللغة . " قال الأحنف : سمعت خطبة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والخلفاء بعدهم ، فما سمعت الكلام من فم مخلوق أفخم ولا أحسن منه من فِي عائشة " . (الذهبي ، ١٤٠٢هـ ، ٢/١٩١) .

" قال الشعبي : أنها قالت : رويت للبيد نحواً من ألف بيت ، وكان الشعبي يذكرها فيتعجب من فقهها وعلمها ، ثم يقول : ماظنكم بأدب النبوة " . (الذهبي ، ١٤٠٢هـ ، ٢/ ١٩٧) . " وعن عروة بن الزبير يصف علمها بالأدب قال : ربما روت عائشة القصيدة ستين بيتاً والمئة بيت " . (ابن سعد ، ١٤٠٥هـ، ٨/٨٣) .

وأما علمها بالطب ، فكان موضع عجب وتساؤل ، " فعن سعيد بن سليمان ، عن أبي أسامة، عن هشام ، عن أبيه قال : لقد صحبت عائشة فما رأيت أحداً قط كان أعلم بآية أنزلت ، ولابفريضة فرضت ، ولا بسنة ، ولا بشعر ، ولا أروى له ، ولابيوم من أيام العرب ، ولابنسب ، ولا

بكذا ، ولا بقضاء ، ولا طب منها ، فقلت لها : ياخالة ، الطب من أين علمته ؟ فقالت : كنت أمرض فينعت لي النشئ ، ويمرض المريض فينعت له ، وأسمع الناس ينعت بعضهم لبعض فأحفظه " . (الذهبي ، ١٤٠٢هـ ، ٢/١٨٣) .

وعن هشام بن عروة قال : " كان عروة يقول لعائشة : ياأمتاه ، لاأعجب من فقهك ، أقول : زوجة نبي الله ، وابنة أبي بكر ، ولاأعجب من علمك بالشعر أيام الناس ، أقول : ابنة أبي بكر وكان أعلم الناس ، ولكن أعجب من علمك الطب كيف هو ومن أين هو ، قال فضربت على منكبه وقالت: أي عرية ، إن رسول الله كان يسقم عند آخر عمره - أو في آخر عمره - وكانت تقدم عليه وفود العرب من كل جهة ، فتنعت له الأنعات ، وكنت أعالجها له ، فمن ثم " . (الذهبي ، ١٤٠٢هـ ، ٢/١٨٢) .

وفي مرة ثالثة يروى عن الشعبي أنه " قيل لعائشة : يا أم المؤمنين هذا القرآن تلقيته عن رسول الله ﷺ وكذلك الحلال والحرام ، وهذا الشعر والنسب والأخبار سمعتها من أبيك وغيره ، فما بال الطب ؟ قالت : كانت الوفود تأتي رسول الله ﷺ فلا يزال الرجل يشكو علة فيسأله عن دوائها ، فيخبره بذلك فحفظت ماكان يصفه لهم وفهمته " . (الذهبي ، ١٤٠٢هـ ، ٢/١٩٧) .

وفاتها

كانت رضي الله عنها عند وفاتها تقول : " والله لوددت لو أني كنت شجرة ، والله لوددت لو أني مدرة . والله لوددت لو أن لم يخلقني شيئاً قط " . (ابن سعد ، ١٤٠٥هـ ، ٢/٧٤) . وأوصت بتحرير مولاها ذكوان ، قالت : " إذا كفنت وحنطت ثم دلاني ذكوان في حفرتي وسواها عليَّ فهو حر" . (ابن سعد ، ١٤٠٥هـ ، ٢/٧٦) . " وقالت لعبد الله بن الزبير : ادفني مع

صواحبي ولاتدفني مع النبي ﷺ فإني أكره أن أزكى " (البخاري ، د.ت ، ٣٧٢٧) .
" وروى عن قيس بن أبي حازم قال : " قالت عائشة رضي الله عنها : إني أحدثت بعد رسول الله ﷺ حدثاً : ادفنوني مع أزواجه ، فدفنت بالبقيع " . (الحاكم ، د.ت ، ٦٧١٧) .

" وقد توفيت في ليلة سبع عشرة من شهر رمضان سنة ثمان وخمسين ودفنت من ليلتها بعد الوتر وهي يومئذ بنت ست وستين سنة وصلى عليها أبو هريرة بعد الوتر واجتمع الناس وحضروا فلم نر ليلة أكثر ناساً منها نزل أهل العوالي ، وخرجت النساء كأنه عيد " . (ابن سعد ، ١٤٠٥هـ ، ٨/ ٧٧ ، ٧٨) .

الفصل الثالث
موجز لحادثة الإفك كما وردت في بعض كتب الحديث والسيرة والتفسير والتاريخ

الفصل الثالث

موجز لحادثة الإفك كما وردت في بعض كتب الحديث والسيرة والتفسير والتاريخ

ينبغي قبل عرض تفاصيل هذا الحادث الأليم أن نعرض لموقف المنافقين سريعاً ، فبعد غزوة أحد كانوا يطمعون في توجيه ضربة للإسلام من الداخل ، واجتهدوا في الفتنة حتى جاء ماحسبوه فرصة سانحة ، وغزوة بني المصطلق نفسها والتي شهدت حديث الإفك شهدت محاولة أخرى للفتنة لاتقل خطراً ، وهي فتنة أنزل الله فيها وحياً يتلى فضح به المنافقين ، فبينما المسلمون على ماء المريسيع إذ أقبل سنان بن وبر الجهني وقيل هو سنان بن تيم الله ، وهو من جهينة بن سود بن أسلم - حليف الأنصار - ومعه فتيان من بني سالم يستقون وعلى الماء جمع من المهاجرين والأنصار ، فأدلى دلوه وأدلى جهجاه بن مسعود بن سعد بن حرام الغفاري ، أجير عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - دلوه فالتبست دلو سنان ودلو جهجهاه وتنازعا ، فضرب جهجاه سناناً فسال الدم فنادى : يا للخزرج ، وثارت الرجال ، فهرب جهجاه وجعل ينادي في العسكر : يا لقريش .. يا لكنانة ، فأقبلت قريش وأقبلت الأوس والخزرج وشهر السلاح حتى كادت تكون فتنة عظيمة ، فقام رجال في الصلح فترك سنان حقه . (المقريزي ، د.ت ، ص ١٩٩، ١٠٠) .

" وكان عبدالله بن أبيّ جالساً في عشرة من المنافقين فغضب وقال : والله مارأيت كاليوم مذلة، والله إن كنت لكارهاً لوجهي هذا ، ولكن قومي قد غلبونا ، قد فعلوها ، قد نافرونا وكاثرونا في بلدنا وأنكروا مننا ، والله ماصرنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل : "سمن كلبك يأكلك" والله لقد ظننت أني سأموت قبل أن أسمع هاتفاً يهتف بما هتف به جهجاه وأنا حاضر لايكون مني غير ذلك، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز

منها الأذل ، ثم أقبل على من حضر من قومه فقال : هذا مافعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم ، ونزلوا منازلكم ، وآسيتموهم في أموالكم حتى استغنوا ، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير بلادكم ، ثم لم ترضوا مافعلتم حتى جعلتم أنفسكم أغراضاً للمنايا دونهم فأيتمتم أولادكم وقللتم وكثروا " .

وكان زيد بن أرقم حاضراً ـ وهو غلام لم يبلغ وقيل أو قد بلغ ـ فحدث رسول الله ﷺ بذلك وعنده نفر من المهاجرين والأنصار ، فتغير وجهه ثم قال : ياغلام ، لعلك غضبت عليه ؟ قال : لا والله ، لقد سمعت منه ، قال : لعله أخطأ سمعك ؟ قال : لا يانبي الله . قال : فلعله شبه عليك ؟ قال : لا والله ، لقد سمعت منه يارسول الله . وشاع في العسكر ماقاله ابن أبي حتى ماكان للناس حديث إلا هو . وأنّب جماعة من الأنصار زيد بن أرقم فقال ـ في جملة كلامه ـ وإني لأرجو أن ينزل الله على نبيه ، حتى تعلموا أني كاذب أم غيري ، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يارسول الله مُر عباد بن بشر فليأتك برأسه ، فكره ذلك ، وقال : لايتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ، وبلغ الخبر ابن أبيّ، فحلف بالله ماقال من ذلك شيئاً ، ثم مشى إلى رسول الله ﷺ وحلف بالله ماقال " (المقريزي ، د.ت ، ص ٢٠٠ ، ٢٠١) .

"وأسرع رسول الله ﷺ عند ذلك السير ، ورحل في ساعة لم يكن يرتحل فيها ، فأقبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى جاء رسول الله ﷺ وهو في فئ شجرة عند غليم أسيود يغمز ظهره . فقال: يارسول الله كأنك تشتكي ظهرك ، فقال : تقحمت بي الناقة الليلة ، فقال عمر : يارسول الله ، إيذن لي أن أضرب عنق ابن أبي في مقالته ، فقال : لايتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه" (المقريزي ، د.ت ، ٢٠١ ، ٢٠٢) .

" ولم يشعر أهل العسكر إلا برسول الله ﷺ قد طلع على راحلته ، وكانوا في حر شديد وكان لايروح حتى يبرد ، إلا أنه لما جاءه ابن أبي رحل في تلك الساعة ، فكان أول من لقيه سعد بن عبادة رضي الله عنه ، ويقال

أسيد بن حضير ، فقال : خرجت يارسول الله في ساعة ماكنت تروح فيها . قال: أوَ لم يبلغك ماقال صاحبكم ابن أبي ؟ زعم أنه إن رجع المدينة أخرج الأعز منها الأذل؟ قال : فأنت يارسول الله تخرجه إن شئت ، فهو الأذل وأنت الأعز . يارسول الله ارفق به ، فو الله لقد جاء الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز مابقيت عليه إلا خرزة واحدة عند يوشع اليهودي ليتوجوه ، فما يرى إلا قد سلبته ملكه" .

" وبينا رسول الله ﷺ يسير من يومه ذلك ، وزيد بن أرقم يعارضه براحلته يريد وجهة رسول الله ﷺ يستحث راحلته فهو مغذ في السير ، إذ نزل عيه الوحي فسرى عنه ، فأخذ بأذن زيد بن أرقم حتي ارتفع من مقعده عن راحلته وهو يقول : وفت أذنك ياغلام وصدق الله حديثك" (المقريزي ، د.ت ، ص ٢٠٢) .

ونزل قوله تعالى ﴿ **إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون* اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم سآء ماكانوا يعملون * ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لايفقهون ، وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة * يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنَّى يؤفكون * وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ورأيتهم يصددون وهم مستكبرون * سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لايهدي القوم الفاسقين * هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لايعلمون * يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون** ﴾ [المنافقون ، الآية ١ — ٨] .

هي إذن فتنة عظيمة سبقت حديث الإفك ، وقد رحم الله المؤمنين فعصمهم من الإنسياق وراء العصبية التي حاول المنافقون إثارتها ، ويعكس تصرف الرسول ﷺ في وقت حار ما اعتاد أن يرحل فيه واستئذان عمر بن الخطاب رسول الله أن يقتل ابن أبيّ ، ومانزل فيها القرآن يفضح ويغلق باب المغفرة في وجوههم ، يعكس كل هذا حجم الفتنة وخطرها ، ويبين ماكان يسود العلاقة بين المنافقين والرسول ﷺ من تربص من جانب المنافقين وعداء أسفر عن نفسه أو كاد في هذا المناخ أشيع خبر الإفك .

حديث الإفك

روت السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ حديث الإفك قالت : " كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه " .

قالت عائشة : فاقرع بيننا في غزوة غزاها [١] ، فخرج سهمي فخرجت مع رسول الله ﷺ بعد مانزل الحجاب فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل [٢] . فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش ، فلما قضيت شاني أقبلت إلى رحلي فإذا عقد لي من جزع ظفار [٣] قد انقطع

---

(١) هي غزوة المريسيع ، ويقال غزوة بني المصطلق ، وهم بنو جذيمة بن كعب بن خزاعة ، فجذيمة هو المصطلق، والمريسيع ماء لخزاعة بينه وبين الفرع نحو يوم ، وبين الفرع والمدينة ثمانية برد ، وكانت في سنة ست من الهجرة ، وقيل في سنة خمس ، خرج رسول الله ﷺ يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان (المقريزي ، د.ت ، ١/١٩٥) .

(٢) وكان قدومه ﷺ من المريسيع إلى المدينة لهلال رمضان ، فغاب شهراً إلا ليلتين (المقريزي ، د.ت ، ١/٢١٤).

(٣) جزع ظفار : الجزع بالفتح : الخرز اليماني ـ الواحد جزعة ـ وظفار بوزن قطام ، وهي اسم مدينة لحمير باليمن (ابن الأثير ، ١/٢٦٩ ، ٣/١٥٨) .

فالتمست عقدي وحبسني ابتغاؤه وأقبل الرهط[١] الذين كانوا يرحلون لي فاحتملوا هودجي[٢] فرحلوه على بعيري الذي كنت ركبت وهم يحسبون أني فيه وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلهن اللحم إنما تأكل العلقة[٣] من الطعام ، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وكنت جارية حديثة السن[٤] .

فبعثوا الجمل وساروا فوجدت عقدي بعد مااستمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب ، فأممت منزلي الذي كنت به وظننت أنه سيفقدوني فيرجعون إليَّ ، فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني[٥] من وراء الجيش فأدلج[٦] فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فأتاني فعرفني حين رآني ، وكان يراني قبل الحجاب

---

(١) الرهط : هم عشيرة الرجل وأهله ، والرهط من الرجال مادون العشرة ، وقيل إلى الأربعين ، ولاتكون فيهم امرأة ولا واحد له من لفظه ويجمع على "رهط أو أرهاط وأراهط جمع الجمع" (ابن الأثير ٢ / ٢٨٣) .

(٢) الهودج : محمل له قبة تستر بالثياب ونحوه ، يوضع على ظهر البعير يركب فيه النساء ليكون أستر لهن (ابن حجر ، ١٤١١هـ ، ٨/٤٥٨) .

(٣) العلقة من الطعام : البلغة من الطعام (ابن الأثير ، ٣ / ٢٨٩ ، ٢٩٠) .

(٤) حديثة السن : عمر السيدة عائشة رضي الله عنها وقت وقوع حادثة الإفك قرابة الأربعة عشر عاماً لأنها ولدت بعد بعثة النبي ﷺ بأربع سنين ، وقد مكث ﷺ بعد البعثة بمكة ثلاثة عشرة سنة ، وغزوة بني المصطلق "المريسيع" كانت في شهر شعبان من السنة الخامسة من الهجرة النبوية (الشايع ، ص ٣٦) .

(٥) صفوان بن المعطل بن ربيضة بن خزاعى بن محارب السلمي ، ثم الذكواني ، يكنى أبا عمرو ، وكان يكون على ساقة العسكر يلتقط مايسقط من متاع المسلمين حتى يأتيهم به ، وقتل صفوان بن المعطل شهيداً في خلافة معاوية ، واندقت رجله يوم قتل فطاعن بها ، وهي منكسرة ، حتى مات وذلك بالجزيرة بموضع له شمطاط (السهلي ، ٦ /٤٣٧) .

(٦) فأدلج : الدلجة : هو سير الليل - يقال : أدلج - بالتخفيف - إذا سار من أول الليل ، وادّلج - بالتشديد - إذ سار من آخره (ابن الأثير ، ٢ /١٢٩) .

فاستيقظت باسترجاعه[١] حين عرفني ، فخمرت وجهي[٢] بجلبابي ، والله ماكلمني كلمة ، ولاسمعت منه كلمة غير استرجاعه حتى أناخ راحلته ، فوطئ على يديها ، فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد مانزلوا موغرين في نحر الظهيرة[٣] ، فهلك من هلك وكان الذي تولى الإفك عبدالله بن أبيّ بن سلول .

فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهراً والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك لاأشعر بشئ من ذلك وهو يريبني[٤] في وجعي أني لاأعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حيث أشتكي . إنما يدخل عليَّ رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول : كيف تيكم ؟ ثم ينصرف . فذاك الذي يريبني ولاأشعر بالشر حتى خرجت بعد مانقهت[٥] . فخرجت معي أم مسطح قبل المناصع[٦] وهو متبرزنا وكنا لانخرج إلا ليلاً إلى ليل ، وذلك قبل أن نتخذ الكنف[٧] قريباً من بيوتنا .

---

(١) باسترجاعه : أي بقوله : إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٢) فخمرت وجهي : التخمير : التغطية (ابن الأثير ٢ / ٧٧) .

(٣) موغرين في نحر الظهيرة : أي في وقت الهاجرة ، وقت توسط الشمس السماء ، يقال : وغرت الهاجرة وغراً . وأوغر الرجل : إذا دخل في ذلك الوقت . كما يقال : أظهر إذا دخل الرجل في وقت الظهر (ابن الأثير ٥ / ٢٠٩) .

(٤) يريبني : الريب هو بمعنى الشك ، وقيل هو الشك مع التهمة . يقال : رابني الشئ وأرابني بمعنى شككني ، وقيل : أرابني في كذا أي شككني وأوهمني الريب فيه ، فإذا استيقنته قلت : رابني بغير ألف (ابن الأثير ، ٢ / ١٨٦) .

(٥) نقهت : نقه المريض ، ينقه فهو ناقه ، إذا برأ وأفاق ، وكان قريب العهد بالمرض لم يرجع إليه كما صحته وقوته (ابن الأثير ، ٥ / ١١١) .

(٦) المناصع وهو متبرزنا : المناصع هي المواضع التي يتخلى فيها لقضاء الحاجة ، واحدها : منصع ، لأنه يبرز إليها ويظهر (ابن الأثير ، ٥ / ٦٥) .

(٧) الكنف : كل ماستر من بناء أو حظيرة فهو كنيف (ابن الأثير ، ٤ / ٢٠٥) .

وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز قبل الغائط ، فكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا فانطلقت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم بن عبد مناف ، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وإبنها مسطح بن أثاثه فاقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي قد فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح [١] فقلت لها بئس ماقلت أتسبين رجلاً شهد بدراً .

قالت : أي هنتاه [٢] أو لم تسمعي ماقال ؟ قلت : وماقال : قالت : فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضاً على مرضي فلما رجعت إلى بيتي ودخل عليَّ رسول الله ﷺ تعني سلم ، ثم قال : كيف تيكم ؟ فقلت أتاذن لي أن آتي أبوي ؟ قلت : وأنا حينئذ أريد أن آستيقن الخبر من قبلهما، قالت: فأذن لي رسول الله ﷺ فجئت أبويَّ فقلت لأمي ياأمتاه ما يتحدث الناس قالت يابنية هوني عليك فو الله لقلّما كانت امرأة قط وضيئة [٣] عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثرن عليها . قالت : فقلت سبحان الله وقد تحدث الناس بهذا ؟ قالت : فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ [٤] لي دمع ولاأكحل بنوم حتى أصبحت أبكي .

فدعا رسول الله ﷺ على ابن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله عنهما حين استلبث الوحي [٥] يستأمرهما في فراق أهله .

---

(١) مسطح : بمكسور وسكون سين وطاء مهملة لقب . واسمه عوف يكنى أبا عباد وقيل أبا عبدالله توفى عام ٣٤ هـ في خلافة عثمان رضي الله عنه . ويقال : عاش إلى خلافة علي رضي الله عنه ، وشهد معه صفين ومات سنة ٣٧ هـ .

(٢) أي هنتاه : ومعناها يابلهاء ـ كأنها نسبتها إلى قلة المعرفة بمكايد الناس وشرورهم (ابن الأثير ، ٥ / ٢٨٠) .

(٣) وضيئة : الوضاءة الحسن والبهجة (ابن الأثير ، ٥/١٩٥) .

(٤) لايرقأ لي دمع : رقأ الدمع والدم والعرق يرقأ رقوءاً إذا سكن وانقطع (ابن الأثير ، ٢ /٢٤٨) .

(٥) استلبث الوحي : هو استفعل من اللبث وهو الإبطاء والتأخر (ابن الأثير ، ٤ / ٢٢٤) .

قالت : فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود . فقال : يارسول الله أهلك ومانعلم إلا خيراً . وأما علي بن أبي طالب فقال : يارسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير ، وإن تسأل الجارية تصدقك . قالت : فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال : أي بريرة هل رأيت من شئ يريبك ؟ قالت بريرة : لا والذي بعثك بالحق مارأيت عليها أمراً أغمصه [١] عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن[٢] فتأكله .

فقام رسول الله ﷺ فاستعذر [٣] يومئذ من عبدالله بن أبي بن سلول قالت : فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر : يامعشر المسمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي ، فو الله ماعلمت على أهلي إلا خيراً ، ولقد ذكروا رجلاً ماعلمت عليه إلا خيراً وما كان يدخل على أهلي إلا معي ، فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال : يارسول الله أنا أعذرك منه إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك قالت : فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية فقال لسعد : كذبت لعمر الله لاتقتله ولاتقدر على قتله ، فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد ، فقال لسعد بن عبادة : كذبت ، لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين فتثاور [٤] الحيان الأوس والخزرج حتى همُّوا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر .

---

(١) اغمصة عليها : أي أعيبها به ، وأطعن به عليها (ابن الأثير ، ٣ / ٣٨٦) .

(٢) الداجن : هي الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم . يقال : شاه داجن وقد يقع على غير الشاه من كل مايألف البيوت من الطير وغيرها (ابن الأثير ، ٢ / ١٠٢) .

(٣) فاستعذر : أي من يقوم بعذري إن كافأته على سوء صنيعه فلا يلومني (ابن الأثير ، ٣ / ١٩٧)

(٤) فتثاور الحيان : أي تناهضوا للنزاع والعصبية .

فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت . قالت : فمكثت يومي ذلك لايرقأ لي دمع ولاأكتحل بنوم قالت : فأصبح أبواي عندي ، وقد بكيت، ليلتين ويوماً لا أكتحل بنوم ، ولايرقأ لي دمع يظنان أن البكاء فالق كبدي . قالت : فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت عليَّ امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي . قالت : فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس . قالت : ولم يجلس عندي منذ قيل ماقيل قبلها وقد لبث شهراً لايوحى إليه في شأني. قالت : فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال : أما بعد ياعائشة ، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه .

قالت : فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي [١] حتى ماأحس منه قطرة ، فقلت لأبي: أجب رسول الله ﷺ فيما قال . قال : والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ . فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ قالت : ماأدري ماأقول لرسول الله ﷺ . قالت : فقلت وأنا جارية حديثة السن لاأقرأ كثيراً من القرآن . إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم إني بريئة والله يعلم أني بريئة لاتصدقوني بذلك ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني والله ما أجد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف قال : فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون . قالت : ثم تحولت فاضجعت على فراشي . قالت : وأنا حينئذ أعلم أني بريئة ، وأن الله مبرئي ببراءتي ولكن والله ماكنت أظن أن الله منزل في شأني وحياً يتلى ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يتلى ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها . قالت : فو الله مارام [٢] رسول الله ﷺ ولاخرج

---

(١) قلص دمعي : أي ارتفع وذهب (ابن الأثير ، ٤ / ١٠٠) .

(٢) مارام : يقال : رام يريم إذا برح وزال من مكانه ، وأكثر ما يستعمل في النفي (ابن الأثير ، ٢ / ٢٩٠) .

أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذه ماكان يأخذه من البرحاء [١] حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان [٢] من العرق وهو في يوم شات من ثقل القول الذي ينزل عليه .

قالت : فلما سرى عن رسول الله ﷺ سرى عنه وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها : ياعائشة أما الله عز وجل فقد برأك . فقالت أمي : قومي إليه . فقارت : فقلت : والله لاأقوم إليه ولا أحمد إلا الله عز وجل وأنزل الله ﴿ **إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لاتحسبوه ......** ﴾ (النور: ١١ – ٢٠) .

فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح بن أثاثه لقرابته منه وفقره والله لاأنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال . فأنزل الله ﴿ **ولايأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم** ﴾ (النور ، ٢٢) .

قال أبو بكر : بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي ، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال : والله لاأنزعها منه أبداً . قالت عائشة : وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش عن أمري فقال: يازينب ماذا علمت أو رأيت ؟ فقالت : يارسول الله : أحمي سمعي وبصري [٣] ماعلمت إلا خيراً .

---

(١) البرحاء : أي شدة الكرب من ثقل الوحي (ابن الأثير ، ١/١١٣) .
(٢) الجمان : وهو اللؤلؤ الصغار ، وقيل حب يتخذ من الفضة أمثال اللؤلؤ (ابن الأثير ، ١/٣٠١) .
(٣) أحمي سمعي وبصري : أي أمنعهما من أن أنسب إليهما مالم يدركاه ومن العذاب لو كذبت عليهما (ابن الأثير ، ١/٤٤٨) .

قالت : وهي التي كان تساميني [١] من أزواج رسول الله ﷺ فعصمها الله بالورع ، وطفقت أختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك . (البخاري ، د.ت ، ٤٧٥٠).

وقد حفلت الحادثة بمواقف متباينة بعضها كان يكشف عن معدن المؤمنين النقي وبعضها كان ينذر بفتن تتوالد ولايعلم إلا الله مداها ، فقد جاء صفوان بن المعطل إلى جعيل بن سراقة فقال : انطلق بنا نضرب حسان فأبى جعيل أن يذهب إلا بأمر رسول الله ﷺ ، وخرج صفوان بن المعطل مصلتاً سيفه حتى ضرب حسان بن ثابت في نادي قومه ، فوثب الأنصار فأوثقوه رباطاً ، وولى ذلك منه ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري فمر به عمارة بن حزم بن النجار الأنصاري فخلى عنه ، جاء به وبحسان إلى رسول الله ﷺ فقال حسان : يارسول الله شهر عليَّ السيف في نادي قومي ثم ضربني لأموت ، وأراني إلا ميتاً من جراحاتي ، فقال ﷺ لصفوان : ولمَ ضربته وحملت السلاح عليه ؟ وتغيظ ﷺ فقال : فقال: يارسول الله ، آذاني وهجاني وسفه عليّ وحسدني على الإسلام . فقال لحسان : أسفهت على قوم أسلموا ؟ ثم قال : احبسوا صفوان ، فإن مات حسان فاقتلوه به . فخرجوا بصفوان ، وبلغ ذلك سعد بن عبادة فاقبل على قومه من الخزرج فقال : عمدتم إلى رجل من قوم رسول الله ﷺ تؤذونه وتهجونه بالشعر وتشتمونه ، فغضب لما قيل ثم أسرتموه أقبح الأسر ورسول الله بين أظهركم ؟ قالوا : فإن رسول الله ﷺ أمرنا بحبسه ، وقال : إن مات صاحبكم فاقتلوه .

---

(١) تساميني : أي تعاليني وتُفاخرني ، وهو مفاعلة من السُّمو : أي تطاولني في الحظْوة عنده . (ابن الأثير ، ٢/٤٠٥) .

قال سعد : والله إن أحب الأمرين إلى رسول الله العفو . ولكن رسول الله ﷺ قضى لكم بالحق ، وإن رسول الله ليحب أن يترك صفوان ، والله لاأبرح حتى يطلق . فقال حسان : ماكان لي من حق فهو لك ، وأتى قومه فغضب قيس بن سعد بن عبادة ، وقال : عجباً لكم ما رأيت كاليوم ، إن حسان قد ترك حقه وتأبون أنتم ؟ ماظننت أحداً من الخزرج يرد أبا ثابت في أمر يهواه ، فاستحيا القوم وأطلقوا صفوان من الوثاق ، فذهب به سعد إلى بيته فكساه حلة ، ثم خرج به إلى المسجد ليصلي فيه ، فرآه رسول الله ﷺ فقال : صفوان ؟ قالوا : نعم يارسول الله ، قال : من كساه ؟ قالوا: سعد بن عبادة . قال : كساه الله من ثياب الجنة . (المقريزي ، د.ت ، ص ٢١١ ، ٢١٢) .

وروى أن أبا أيوب خالد بن زيد قالت له امرأته أم أيوب : ياأبا أيوب ألا تسمع مايقول الناس في عائشة ، قال : بلى ، وذلك الكذب ، أكنت ياأم أيوب فاعلة ؟ قالت : لا والله ماكنت لأفعله ، قال : فعائشة والله خير منك . (ابن هشام ، ١٣٧٥هـ ، ٢/٢٠٣) .

وقد اشتملت الحادثة على كثير من التفاصيل التي تؤخذ منها العِبَر ، فكان من بين الصحابة - كما في الروايتين السابقتين وهما مثالان لا أكثر - من حض على العفو والتسامح ، ومن تسامح ومن سعى في إطلاق من أسر بسبب انفعاله في الانتقام لسمعته ، وكان منهم كذلك من خاض دون أن يقدر خطر الحديث - في حديث الإفك - وكان الذين خاضوا في الإفك مع ابن أبي : مسطح بن أثاثه، وحسان بن ثابت ، وحمنة بنت جحش ، فضربهم رسول الله ﷺ الحد . (المقريزي ، د.ت، ص٢١٠) .

بعض مواقع ورود روايات حادثة الإفك

أفرد بعض المحدثين أجزاءً حديثية منفصلة لروايات هذه الحادثة منها :

١ – جزء "حديث الإفك" تصنيف الحافظ عبدالكريم بن الهيثم الدير عاقولي (توفى ٢٧٨هـ) وهذين الكتابين ذكرهما الشيخ محمود الحداد في مقدمة الكتاب الأول .

٢ – جزء "حديث الإفك" تصنيف الإمام الحافظ أبي بكر محمد بن الحسين الآجري (توفى ٣٦٠هـ) .

٣ – جزء "حديث الإفك" تصنيف الإمام الحافظ أبي محمد عبدالغني بن عبدالواحد المقدسي (توفى ٦٠٠ هـ) والكتاب مطبوع في الرياض عام ١٤٠٥هـ ، وهو بتحقيق : أبي إسماعيل هشام بن إسماعيل السقا ، وأصدرته دار عالم الكتب للنشر والتوزيع ، ويقع في ٧٩ صفحة .

وقد رواها المحدثون في كتبهم من ذلك :

١ – البخاري (٤٧٥٠) .

٢ – مسلم

٣ – أبو داود

٤ – النسائي في السنن الكبرى (٨٩٣١) .

٥ – ابن حبان في الصحيح (٤١٩٩) .

٦ – الطبراني في الجامع الكبير (٢٣ / ٥٠ ، ٥٧ ، ٦٤) .

٧ – البيهقي في السنن الكبرى (٧ / ١٠٦) .

٨ – أحمد في المسند (٢٦٣٣٩) .

٩ – ابن هشام في السيرة النبوية (٣ / ٣٠٤) .

١٠– ابن كثير في السيرة النبوية (٣ / ٢٩٧)

الفصل الرابع
القيم التربوية المستنبطة
من حادثة الإفك

الفصل الرابع

القيم التربوية المستنبطة من حادثة الإفك

بناءً على شمولية الإسلام وكماله ، فإن الله تعالى جعل من أهم وظائف الدين المحافظة على المثل العُليا والقيم السامية في المجتمعات الإسلامية ، فقد تكفَّل الإسلام بوضع أسس التربية الإسلامية وأهدافها ووسائلها إلى جانب أنه تكفَّل ببيان القيم التربوية التي تساعد على بناء الفرد والمجتمع وتطورهما .

ومن خلال حادثة الإفك حاول المنافقون هزيمة المسلمين أخلاقياً بالتشكيك في قدوة المسلمين الأولى ، ولكن في المقابل استفاد المسلمون عدداً من القيم التربوية والسلوكيات الاجتماعية التي شرعها الله تعالى من خلال آيات سورة النور ، ومن خلال حُسن تصرف الرسول ﷺ وردَّة فعله السليمة تجاه الشائعات .

وفي الصفحات التالية محاولة لاستنباط بعض القيم التربوية من حادثة الإفك فيما يتعلق بالأفراد والأسرة والمجتمع ، لتكون نبراساً يهتدي بها المجتمع المسلم في تنظيم شؤون حياته وتسيير أمور دنياه وفق ما أراد الله له أن يكون مجتمع خير أمة أخرجت للناس .

أولاً : القيم التربوية الخاصة بالأفراد

تمهيد :

تربية النفس البشرية وتقويم سلوكها يعتبر من أهم الأغراض للشريعة الإسلامية ، ولذلك وضعت العديد من القيم التربوية والأسس النفسية ، وحرصت على غرس هذه القيم بداخلها ، واتُّبِعَ في ذلك منهجاً فريداً مميزاً عجزت المناهج الوضعية كلها عن أن تصل لمثله . فقد حرصت الشريعة الإسلامية على تقوية صلة الفرد بالله ، وتقوية النفس على التغلب على شهواتها ومصالحها ، والمساهمة في تقديم الخير للمجتمع ، وأن يكون سلوكه تطبيقاً عملياً لإيمانه . وتنبع هذه الأهمية بالفرد من حيث أنه المحور الأساسي الذي يقوم عليه المجتمع الإسلامي ، فبصلاح الأفراد تصلح المجتمعات والعكس بالعكس .

والقيم التربوية المتعلقة بالأفراد في القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة كثيرة لايمكن حصرها في مثل هذا الحيز ، ولذلك اقتصر البحث على بعض القيم التي لها صلة مباشرة بموضوع البحث (حادثة الإفك) كحُرمة المسلم ، والصبر عند الابتلاء ، والرضا بالقضاء والقدر ، والمسارعة إلي الخيرات .

أولاً: حُرمة المسلم

الحُرْمَة لغة " هي ما لايحل انتهاكه من ذمة أو حق أو صحبة أو نحو ذلك" (المعجم الوسيط، د.ت ، ص ١٧٥) ، ولحرمة المسلم في الإسلام مكانة بارزة ، ودور في بناء المجتمع المسلم ، وحماية تماسكه بعد قيامه ، وفي أحاديث الرسول ﷺ مايمكن جمعه إلى بعض ليشكل قاعدة تتأسس عليها هذه القيمة الأم ، ومن ذلك قوله ﷺ : **« من صلى صلاتنا ، واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا ، فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله ، فلا تخفروا الله في ذمته»** (البخاري ، د.ت، ٣٩١) .

ومع الخطوات الأولى التي خطاها الرسول ﷺ كانت لهذه القيمة أهمية خاصة ظهرت في بيعة العقبة. فقد روى البخاري عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، وكان شهد بدراً ، وهو أحد النقباء في بيعة العقبة ، أن رسول الله ﷺ قال وحوله جماعة من أصحابه : « **بايعوني على أن لاتشركوا بالله شيئاً ، ولاتسرقوا ، ولاتزنوا ، ولاتقتلوا أولادكم ، ولاتأتون ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولاتعصوا في معروف**» (البخاري ، د.ت ، ١٨) . والبهتان : الكذب الذي يبهت سامعه (ابن حجر ، ١٤٠٨هـ ، ١/٨٢) . وكان المعنى لاترموا أحداً بكذب تزورونه في أنفسكم ثم تبهتون صاحبه بألسنتكم . ولاشك في أن النهي المغلّظ عن البهتان في بيعة تأسيس المجتمع المسلم مقترن بغيره من الكبائر كالسرقة والزنا وقتل الأولاد ، بل واقترانه بالنهي عن الإشراك بالله ، يؤكد حِرص الإسلام على تأكيد حُرمة عرض المسلم ، وخطورة الافتراء عليه ، وقد رفع الله هذه القيمة إلى القمة فجعلها أفضل الإسلام .

روى البخاري أن رسول الله ﷺ سُئل : أي الإسلام أفضل ؟ قال : «**من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده**» (البخاري ، د.ت ، ١١) . فالرسول ﷺ قدَّم اللسان وذلك لبيان ضرورة حفظ اللسان ، وأن التهاون في الحديث ونقل الأقاويل قد يسبب ضرراً كبيراً ، وأكبر مثال على ذلك هو حادثة الإفك ، فمجرد كلمات قالها منافق ، وتناقلتها الألسُن ، سببت أزمة عظيمة في المجتمع المسلم.

وكما بدأ تأسيس المجتمع المسلم بالتأكيد على حُرمة المسلم ، أكَّدها الرسول ﷺ في خطبة حجة الوداع ، قال ﷺ : «**أتدرون أي يوم هذا؟**» . قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : «**فإن هذا يوم حرام، أتدرون أي بلد هذا؟**» . قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : «**بلد حرام ، أتدرون أي شهر هذا؟**» . قالوا: الله ورسوله أعلم . قال : «**شهر حرام**» . قال : «**فإن الله حرَّم عليكم دماءكم**

وأموالكم وأعراضكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا» (البخاري ، د.ت ، ٦٠٤٣) .

ولم يقتصر اهتمام الرسول ﷺ في أدائه أمانة تبليغ الوحي بالأمر والنهي والحث والزجر ، وإنما أوضح – فيما يمكن اعتباره تطبيقات لهذه القاعدة – قاعدة مراعاة حرمة المسلم ، فقال ﷺ : **«إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ، ولاتحسسوا ولاتجسسوا ولاتحاسدوا ولاتباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا»** (البخاري ، د.ت ، ٦٠٦٤) . وأخبر ﷺ أن جزاء النميمة الحرمان من الجنة . قال ﷺ : **«لايدخل الجنة قتّات»** (البخاري ، د.ت ، ٦٠٦٥) . والقتّات : هو النمّام (ابن حجر ، ١٤٠٨هـ ، ١٠/٤٨٨) . وأخبر كذلك أن سباب المسلم فسوق . قال ﷺ : **«سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر»** (البخاري ، د.ت ، ٤٦ ، ٥٥٨٤) .

فإذا كانت هذه هي حرمة المسلم فكيف بحرمة الرسول ﷺ وهو من أمر الله المؤمنين بطاعته ، ومن نزلت آيات القرآن تعلم المؤمنين كيفية التعامل الصحيح مع أهله . قال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ، ولكن إذا دُعيتم فادخلوا ، فإذا طعمتم فانتشروا ولامستئنسين لحديث ، إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم ، والله لايستحيي من الحق ، وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ، ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن ، وماكان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً ، إن ذلكم كان عند الله عظيماً** ﴾ [الأحزاب: ٥٣] .

ولقد بيّن "حديث الإفك حُرمة المسلم وقدره عند الله ، وأنه يجب أن يعيش المسلمون أخوة متحابين متعاونين ، ولايجوز أن تكون أعراض المسلمين مادة للهو والعبث والقيل والقال ، فهي

مصونة محترمة ومعروف موقف الإسلام من الغيبة والنميمة ، فقد حرمهما ونهى عنهما وصورهما بصورة بشعة تنفر منها النفوس الطيبة ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه﴾ [الحجرات : ١٢]. وهذا في الغيبة التي تكون أحياناً دون القذف ، فما بالك بالقذف الذي هو طعن في عرض المسلم ، وهو أغلى مايملك ، ففيه تلويث لسمعته وافتراء عليه" (العبد اللطيف ، ١٤١٠هـ ، ص٢٢٢).

إن العلاقة بين المسلمين لابد أن تقوم على الحب والإيثار لا على الفردية والأنانية ، فحرمة المسلم على المسلم تقتضي الاحترام والصفح والمغفرة وعدم الاختلاف وحُسن الظن بالآخرين . وتقتضي ألا يتهم المسلم أخاه ، ولا أن يسعى إلى إثارة الشبهات والأقاويل حوله بل يحرص على مساعدته والتغاضي عن هفواته وستر عيوبه وبذلك تتحقق هذه القيمة التربوية في المجتمع الإسلامي .

ثانياً : الصبر

الصبر هو : التجلُّد وحُسن الاحتمال (ابن حجر ، ١٤٠٨هـ ، ١/٥٢٥) . وقال الراغب: "الصبر الإمساك في الضيق .. وصبرت الشئ أي حبسته . فالصبر حبس النفس على مايقتضيه العقل أو الشرع ، وتختلف معانيه بتعلقاته ، فإذا كان عن مصيبة سُمِّي صبراً فقط ، وإن كان عن لقاء عدو سُمِّي شجاعة ، وإن كان عن كلام سُمِّي كتماناً ، وإن كان عن تعاطي مانهى عنه سُمِّي عِفَّة (ابن حجر ، ١٤٠٨، ١١/٣٠٩) .

والصبر على ثلاثة أقسام : " صبر عن المعصية فلا يرتكبها ، وصبر على الطاعة حتى يؤديها، وصبر على البلية فلا يشكو منها ، ولابد للعبد من واحدة من هذه الثلاث . والصبر تارة يكون لله ، وتارة يكون بالله .. فالأول الصابر لأمر الله طلباً لمرضاته ، فيصبر على الطاعة ويصبر عن المعصية . والثاني المفوض لله بأن

يبرأ من الحول والقوة ويضيف ذلك إلى ربه . وزاد بعضهم الصبر على الله وهو الرضا بالمقدور . فالصبر لله يتعلق بألوهيته ومحبته ، والصبر به يتعلق بمشيئته وإرادته ، والثالث يرجع إلى القسمين الأوليين عند التحقيق ، فإنه لايخرج عن الصبر على أحكامه الدينية وهي أوامره ونواهيه والصبر على ابتلائه وهو أحكامه الكونية " (ابن حجر ، ١٤٠٨هـ ، ١١/ ٣١١) .

وقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ بالصبر . قال تعالى : ﴿ **فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل**﴾ [الأحقاف : ٣٥] . وأمر بها المؤمنين . قال تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين**﴾ [البقرة : ١٥٣] . ووعد الصابرين بأعظم من ذلك ، إذ قال : ﴿**إنما يوفَّى الصابرون أجرهم بغير حساب**﴾ [الزمر : ١٠] . وعَدَّ الله الصبر من صفات المتقين . قال تعالى : ﴿**الصابرين والصادقين والقانتين والمستغفرين بالأسحار**﴾ [آل عمران ، ١٧] . ومن صفات المؤمنين ، قال تعالى : ﴿**والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عُقبى الدار**﴾ [الرعد : ٢٢] .

وسُنَّة الرسول ﷺ حافلة بالحضِّ على الصبر وتوضيح عاقبته وأجره العظيم . روى البخاري عن الزهري ، أخبرني عفان بن يزيد الليثي ، أن أبا سيعد أخبره ، أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ ، فلم يسأله أحد منهم إلا أعطاه حتى نفد ما عنده . فقال لهم حين نفد كل شئ أنفق بيده : «**مايكن عندي من خير ، لاأدخره عنكم ، وأنه من يستعف يعفه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ولن تعطوا عطاء خيراً وأوسع من الصبر**» (البخاري ، د.ت ، ٦٤٧٠) .

ويروى عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها سألت رسول لله ﷺ عن الطاعون . فأخبرها نبي الله

ﷺ **«أنه كان عذاباً يبعثه الله على من يشاء ، فجعله الله رحمة للمؤمنين ، فليس من عبد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابراً يعلم أنه لن يصيبه إلا ماكتبه الله له ، إلا كان له مثل أجر شهيد»** (البخاري ، د.ت ، ٥٧٣٤) .

وصبر رسول الله ﷺ يعتبر من علامات النبوة ، فهو رغم علمه ببراءة أهله إلا أنه صبر على الشائعات والأقاويل ، وتمهَّل انتظاراً لأمر الله تعالى ، وهذا هو خُلق الأنبياء والأئمة ، وقادة المجتمع ، لأن الصبر يخالف العجلة والتسرُّع التي غالباً ما يرافقهما الخطأ .

وقد ضربت السيدة عائشة رضي الله عنها أروع المثل في الصبر على ما أوذيت به . يروي البخاري في صحيحه أنها قالت : " فأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوماً ، ولاأكتحل بنوم ، ولايرقأ لي دمع ، يظنان أن البكاء فالق كبدي" . قالت : " فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت عليَّ امرأة من الأنصار فاذنت لها ، فجلست تبكي معي" . قالت : " فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس" . قالت : "ولم يجلس عندي منذ قيل ماقيل قبلها ، وقد لبث شهراً لايوحى إليه في شاني" . قالت : " فتشهد رسول الله ﷺ ثم قال : **«أما بعد ياعائشة ، فقد بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرؤك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه»** . قالت : " فلما قضى رسول الله مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة ، فقلت لأبي : أجب رسول الله ﷺ . قال : والله ما أدري ماأقول لرسول الله ﷺ . فقلت لأمي : أجيبي رسول الله ﷺ . قالت : ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ " . قالت : " فقلت ـ وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن : إني والله لقد علمت ، لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به ، فلئن قلت لكم إني بريئة لاتصدقونني بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم إني منه بريئة لتصدقني ، والله ما أجد لكم

مثلاً إلا قول أبي يوسف : ﴿فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون﴾ (البخاري ، د.ت ، ٤٧٥٠) .

وكذلك موقف أبي بكر الصديق وزوجه وصفوان بن المعطل رضي الله عنهم جميعاً هو درس في الصبر على المحن والابتلاء . " والبلاء قد يكون نعمة ينعم الله بها على عباده الذين يعلم منهم أنهم يتحمَّلون هذا البلاء ويصمدون فيه ، ويظلون واعين لمبدئهم ، فاهمين لغايتهم . ولما في الصبر على البلاء من خير كبير وأجر عظيم كان فرصة للخير كريمة ومجالاً لنيل الثواب والرضوان من الله" (الطنطاوي ، ١٤١٣هـ ، ص٣٤) .

فالصبر على الابتلاء من أعظم الأمور التي حضَّ الله تعالى عليها ، وجعل الفوز بالجنة هو جزاء الصابرين ، وقرر سبحانه وتعالى أن ليس كل البلاء شر ، بل قد يتضمن خيراً كما قال تعالى في شأن الحادثة ﴿**لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم**﴾ [النور ، ١١] فمن خيرات البلاء جزيل الثواب ، وتكفير الذنوب ، ورفع الدرجات ، وتشريع للحدود ، والصبر يتناغم مع الإيمان بالقدر ، فهو يعني أن يرضى المسلم بكل ما يصيبه في الدنيا من خير أو شر ولايعترض عليه ، وذلك لا يتعارض مع الشكوى إلى الله والدعاء . وكذلك الصبر لا يعني اليأس والقنوط من رحمة الله ، بل إن حقيقة الصبر تدفع إلى الأمام وتنهض بالمجتمعات ، وتصل بها إلى أرقى المستويات .

ثالثاً : الرضى بالقضاء

الرضى بالقضاء من القيم التربوية الأساسية في منهج التربية الإسلامية ، وقد أمر الله كل مسلم أن يقول : ﴿**قل لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون**﴾ [التوبة : ٥١] . وأخبر الله تعالى المؤمنين في كتابه العزيز بأن كل ما أصاب المسلم فهو من عند الله . قال

تعالى : ﴿**ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير**﴾ [الحديد : ٢٢] . وربط رسول الله ﷺ بين القضاء والصبر عليه والرضى به ، وبين تكفير الذنوب . فقال ﷺ «**ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هَمٍّ ، ولا حزن ، ولا غم ، ولا حتى الشوكة يُشاكُها إلا كفَّر الله بها خطاياه**» (البخاري ، د.ت، ٥٦٤١) .

فالاعتماد على الله والتوكل عليه سلاح يواجه به المؤمن متاعب الحياة ، فلا يجزع عند وقوع المصائب وإنما يرضى بكل ما يصيبه في هذه الدنيا من خير أو شر ولا يعترض على قضاء الله وقدره ، ويوقن أن ما من مصيبة إلا ووراثها أجر .

ويروي البخاري عن عبدالله رضي الله عنه قال : أتيت النبي ﷺ في مرضه . وهو يوعك وعكاً شديداً . وقلت : إنك لتوعك وعكاً شديداً ، قلت : إن ذاك بأن لك أجرين . قال : «**أجل ، ما من مسلم يصيبه أذى إلا حاتَّ الله عنه خطاياه كما تحاتُّ ورق الشجر**» (البخاري ، د.ت ، ٥٦٤٧) .

وروى في باب "فضل من ذهب بصره" عن النبي ﷺ قال الله تعالى : «**إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر ، عوضته منهما الجنة**» (البخاري ، د.ت ، ٥٦٥٣) . وكان من دعاء الرسول ﷺ دُبر كل صلاة : «**لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير ، اللهم لامانع لما أعطيت ، ولامعطي لما منعت ، ولاينفع ذا الجد منك الجد**» (البخاري ، د.ت ، ٨٤٤).

" ويشير قول الله تعالى في سياق حادثة الإفك : ﴿**لاتحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم**﴾

[النور ، ١١] . وتنبهنا هذه الآية الكريمة إلى ما عند كثير منا من الضيق ، وضعف الإدراك ، وعدم معرفة حقائق الأحداث ، وما تحمله من دروس وعِبر إلى الحياة والأمور، فتراه يقف عند الطبقة القشرية لايحاول أن يتعدّاها إلى حقيقة الأمر ، ولايسعى لتفهمه ومناقشته وربطه بحقائق الحياة ، لينتهي إلى وضعه في موضعه " (الطنطاوي ، ١٤١٣هـ ، ص١١) .

ويبين لنا أمر الإفك أن المسلم مهما ارتفع مقامه ، وعلت منزلته ، وسما به تُقاه ، مُعرَّض لأي لون من البلاء ، فعليه أن لايستكين إلى درجته ، ويطمئن إلى مكانته ، بل عليه أن يتوقع دوماً كل أمر من أي نوع . " ولهذا لم يكن ابتلاء الله عز وجل رسوله بما تُحدِّث به عن سمعة زوجه غضباً من الله عليه ، وإنما كان تعليماً لكل مؤمن . ويصحح لنا أمر الإفك المقاييس التي نستعملها في فهم الحياة، والتي قد يكون من بينها مايحسبه البعض من أن النعم دليل رضى الله عن العبد ، وأن البلاء يكون دوماً عقاباً أو دليلاً على السخط " (الطنطاوي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣١ ، ٣٢) . " وعلى هذا فلم يكن ابتلاء الله عز وجل عائشة رضى الله عنها بحديث الإفك مصيبة من الله - عز وجل - تدل على نقمته عليها أو على الأقل على عدم إكرامه لها ، وإنما كان من أعظم المن والنعمة والفضل" (الطنطاوي ، ١٤١٣هـ ، ص٣٤) .

إن الإيمان بالقضاء والقدر جزء من العقيدة الإسلامية ، وهذا الإيمان لا بد أن يرافقه العمل والسعي والتوكل على الله ، ومن ثمَّ الرضى بكل ما ينتج عن ذلك . فالتوكل على الله لا يعني التكاسل والقعود عن العمل والتواكل ، ولكن يعني العمل والأخذ بالأسباب وترك النتائج لإرادة الله ومشيئته ، فالتوكل إيمان وعمل .

رابعاً : الاستقامة

وصف الله الإسلام في فاتحة الكتاب بأنه ﴿الصراط المستقيم﴾ ، وقال تعالى عن الرسول ﷺ : ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين﴾ [فصلت : ٦] . ووصف الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالاستقامة ، ووعدهم أحسن الجزاء عليها ، فقال تعالى : ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون* أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون﴾ [الأحقاف : ١٣، ١٤] . وقال تعالى أيضاً : ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾ [فصلت: ٣٠] . بل إن النبي ﷺ مأمور بالاستقامة ، قال تعالى : ﴿ فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولاتتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لا حجة بيننا وبينكم ، الله يجمع بيننا وإليه المصير﴾ [الشورى : ١٥] .

إن مجموع تلك الآيات يدل على أن المسلم لابد أن يلتزم طريق الصواب ليصل إلى الجنة ، ويقي نفسه شر الشبهات والأقاويل ، ويبعد عنها مقالات السوء ، وفي حادثة الإفك كان لاستقامة السيدة عائشة رضي الله عنها وكونها فوق الشبهات ، وكذلك الحال مع صفوان ، الأثر الكبير في تبرئتهما من التهمة رغم كل الشائعات التي أثيرت حولهما .

والاستقامة كما يبدو من الآيات السابقة سبيل الخير وطريق الجنة ، وهي صفة سلوك الرسول وسبيل كل مؤمن . وقد جمع الله الرسول والمؤمنين في سياق واحد وأمرهم جميعاً بالاستقامة. قال تعالى : ﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولاتطغوا إنه بما تعملون بصير﴾ [هود : ١١٢] .

وقد بينت سُنَّة الرسول ﷺ مسالك الاستقامة للمؤمنين ، ومن ذلك قوله ﷺ : «**الحلال بيِّن والحرام بيِّن وبينهما أمور مشبَّهات لايعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعِرضه، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا إن حمَى الله محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب**» (البخاري ، د.ت ، ٥٢) .

فالمسلم مطالب بالاستقامة في جميع أمور حياته ، ومطالب بتلمس الحلال من الحرام ، والبُعد عن مواطن الشبهات وأصدقاء السوء ، وعدم التدخل في شؤون الآخرين ، وإلا فإنه قد يجر على نفسه الكثير من المشاكل والمتاعب ، وقد يقع في أمور محرمة إلا إذا التزم طرق الاستقامة .

خامساً : الرقابة الذاتية

رقابة المسلم على نفسه صمام أمان مهم لاستقامة أفعال الإنسان ، " ويعتبر النقد الذاتي للنفس من خلال محاسبتها أسلوباً تربوياً من أساليب التربية التي دعا إليها الإسلام ، وهذا الأسلوب هو أسلوب النقد الذاتي للنفس ذاتها شريطة أن يكون تقويماً لا تبريراً ، من خلال محاسبة النفس وردعها إذا وجد عندها ما يلومه عليه الآخرون" (القرني ، ١٤٠٩هـ ، ص١١١) . وقد جعلها الرسول ﷺ في مرتبة الإحسان . روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ، كان النبي ﷺ بارزاً يوماً للناس ، فاتاه رجل ، فقال : ما الإيمان ؟ قال : « **الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث** » . قال : وما الإسلام " . قال : « **الإسلام أن تعبد الله ولاتشرك به ، وتقيم الصلاة ، وتؤدي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان** » . قال : وما الإحسان ؟ . قال : « **أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك** " (البخاري ، د.ت ، ٥٠) .

فعلى من أراد بلوغ مرتبة الإحسان أن يراقب نفسه ، وأن يعبد الله كأنه يراه وهو مايتطلب رقابة ذاتية صارمة .

ودعا الرسول ﷺ كل مسلم إلى أن يراقب نفسه فلايدفعه حب أو بغض إلى معصية ، قال ﷺ فيما روي البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين أم سلمة : أنه ﷺ سمع خصومة بباب حجرته، فخرج إليهم فقال : «**إنما أنا بشر ، وإنه يأتيني الخصم فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صدق ، فأقضي له بذلك ، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها**» (البخاري ، د.ت ، ٢٤٥٨) .

" ويوجّه الخليفة الراشد الفاروق رضي الله عنه أن على الإنسان المسلم أن يقوم بمحاسبة نفسه، وهذا يسمى نقداً ذاتياً ، حيث قال : "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وتزينوا للعرض الأكبر ، وإنما يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا" (الترمذي ، د.ت ، ٣٣٨٣) .

ولعل هذه التربية العظيمة هي التي دفعت من يرتكب مايوجب الحد في عهد الرسول أن يذهب بنفسه معترفاً بذنبه دون رقابة تفتش عن أفعاله . وقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى رجل رسول الله ﷺ وهو في المسجد فناداه ، فقال : يارسول الله : إني زنيت ، فأعرض عنه حتى ردد عليه أربع مرات . فلما شهد على نفسه أربع شهادات ، دعاه النبي ﷺ فقال: « **أبك جنون؟**» قال : لا . قال : « **فهل أحصنت ؟**» . قال : نعم . فقال النبي ﷺ : «**اذهبوا به فارجموه**» (البخاري ، د.ت ، ٦٨١٥) .

" وفي هذا الحديث منقبة عظيمة لأن المعترف استمر على طلب إقامة الحد عليه مع توبته ليتم تطهيره ولم يرجع عن إقراره مع أن الطبع البشري يقتضي أنه لايستمر على الإقرار بما يقتضي إزهاق نفسه ، فجاهد نفسه على ذلك وقوي عليها ، وأقر من غير اضطرار إلى إقامة ذلك عليه بالشهادة مع وضوح الطريق إلى سلامته من القتل بالتوبة " (ابن حجر ، ١٤٠٨هـ ، ١٢/ ١٢٧) .

ومن الرقابة الذاتية استفتاء القلب فيما يعرض للمرء من مواقف الابتلاء ، وقد (وقفت فئة مؤمنة تتسمع هذه الشائعة البغيضة وترددها وتساعد على نشرها سواء بطريقة مقصودة أو غير مقصودة) (رشوان ، ١٤١٥هـ ، ص٧٣) . وقد فات هؤلاء أن يحكّموا إيمانهم ويستفتوا ضميرهم. وفي المقابل كانت هناك فئة رجعت إلى نظرتها ، وجزمت ببراءة السيدة عائشة رضي الله عنها مما نُسب إليها ، وهي ممثلة في أبي أيوب الأنصاري وزوجته رضي الله عنهما ، فهما قد رجعا إلى رقابتهما الذاتية على دينهما ورسولهما وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

سادساً : المسارعة إلى الخيرات ونكران الذات والتجرد من هوى النفس

أمر الإسلام المسلم بفعل الخير والتزامه ، وحث على المسارعة في الخيرات ، وهي منزلة لايبلغها إلا من تربى على منهج الإسلام ، وقد ورد الحث بالمسارعة على الخيرات في القرآن الكريم للرسول ﷺ وللمؤمنين ، فقال تعالى : ﴿**وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ، لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم ، فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون**﴾ [المائدة : ٤٨] . ووصف الله الصالحين بذلك ، قال تعالى : ﴿**يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين**﴾ [آل عمران ، ١١٤] . ووصف المؤمنين أيضاً بذلك ، قال تعالى : ﴿**أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون**﴾ [المؤمنون : ٦١] . وقال تعالى في

وصف زكريا عليه السلام : ﴿ **فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين**﴾ [الأنبياء ، ٩٠] .

والسبق إلى الخيرات فضيلة وصفها الله تعالى بالفضل الكبير ، إذ يقول : ﴿**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير**﴾ [فاطر : ٣٢] . ومما يلفت النظر أن الخير في كل الآيات السابقة جاء في صيغة الجمع ، ولم يأت مفرداً أبداً مادام مقترناً بالإسراع ، فالذين يسارعون يفعلون خيرات عديدة .

" قال تعالى : ﴿**ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم**﴾ [النور : ٢٢] . نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق رضي الله عنه بعد نزول القرآن ببراءة السيدة عائشة ، حين عرف أن "مسطحاً" كان ممن خاضوا ، وهو قريبه ، وهو من فقراء المهاجرين ، وكان أبو بكر رضي الله عنه ينفق عليه ، فحَلَفَ على نفسه لاينفع مسطحاً بنافعة أبداً ، فنزلت هذه الآية تذكر ابا بكر وتذكر المؤمنين بانهم هم يخطئون ثم يحبون من الله ان يغفر لهم ، فليأخذوا أنفسهم - بعضهم مع بعض - بهذا الذي يحبونه ولايحلفون أن يمنعوا البر عن مستحقيه إن كانوا قد أخطأوا وأساءوا " (قطب ، ١٤٠٥هـ ، ص ٢٥٠٤) .

" وما يكاد يلمس وجدانه ذلك السؤال الموحي ﴿**ألا تحبون أن يغفر الله لكم**﴾ حتى يلبي داعي الله في طمأنينة وصدق يقول : بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي ، ويعيد إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه ، ويحلف والله لا أنزعها منه أبداً " (قطب ، ١٤٠٥هـ ، ص ٢٥٠٥) . وهذه المسارعة إلى الخيرات رغم ما انطوى عليه حادث الإفك من بشاعة ، درس تربوي بليغ لكل مسلم ليسارع في الخيرات ، فالآية الكريمة تأمر : بالإنفاق ، والعفو ، والصفح ، وتعد من يفعل ذلك بأن يغفر الله له .

سابعاً : حُسن الخُلُق

حفل القرآن الكريم بأوصاف عديدة للمؤمنين تصف عقيدتهم وعبادتهم وأخلاقهم ، وقد وصف الله المؤمنين بعد أن شرفهم بنسبته إليه ـ سبحانه وتعالى ـ فسمَّاهم "عباد الرحمن" فقال تعالى: ﴿**وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً**﴾ [الفرقان : ٦٣] . وأمر النبي أن يأمر الذين يؤمنون بالله أن يقولوا التي هي أحسن . فقال تعالى : ﴿ **قل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً**﴾ [الإسراء : ٥٣] . والقاعدة الذهبية التي تتأسس عليها الأخلاق الإسلامية هي قوله تعالى: ﴿**ولاتستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم**﴾ [فصلت : ٣٤] . والمؤمنون كما صورهم القرآن هُم من يدرأون بالحسنة السيئة . قال تعالى : ﴿**والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرأون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار**﴾ [الرعد : ٢٢] . وقال تعالى أيضاً : ﴿**أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرأون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون**﴾ [القصص : ٥٤].

وقد تضمنت آيات سورة النور المتعلقة بالإفك العديد من القيم الأخلاقية الإسلامية مثل توضيح بعض سمات المؤمنين والحث على الإتصاف بصفاتهم وبيان علامات النفاق والبعد عنها ، وكالعفو عند المقدرة ومواصلة العطاء رغم الإساءة ، وكذلك كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه مع مسطح بن أثاثة ، امتثالاً لأمر الله تعالى : ﴿**ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى ...**﴾ إلى قوله تعالى ﴿**ألا تحبون أن يغفر الله لكم**﴾ [النور : ٢٢] . فقد ربط الله تعالى بين الصفح والعطاء والإحسان إلى من أساء وبين المغفرة من الله تعالى .

وكذلك حفظ اللسان ، فلا يجوز للناس التحدث عن الغير بما يسيئهم سواء كان صحيحاً أو

كاذباً ، وفي حادثة الإفك كان على المسلمين ألا يستمعوا إلى حديث الإفك ولا يصدّقوه ولا حتى يتحدثوا فيه ويتناقلوه فيما بينهم . يقول تعالى : ﴿ **ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسّكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم** ﴾ [النور : ١٤] .

" هذه الآية الكريمة تُعلِّم المسلمين أدب الحديث وأدب التحدث إلى الناس وأدب الاستماع ، فادب الحديث ألا يقول الإنسان كلاماً إلا إذا كان متأكداً منه واثقاً من صحته ، وإلا وقع في المحظور والحرام ، وأدب الحديث ألا يتحدث الإنسان إلى غيره بأي كلام يسئ إلى غيره من الناس ، وأدب الاستماع وهو ألا يستمع الإنسان إلى باطل أو كذب أو بهتان" (محمود ، ١٤١٥هـ ، ص ٧٩) .

" وأيضاً فيما نزل من القرآن في شان حديث الإفك يقول تعالى : ﴿ **لاتحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم** ﴾ ، وفيها تهدئة من الله لنفوس الجماعة الإسلامية ، وكشف لمكايد المنافقين ، فإنهم وإن جاءوا على زعمهم بحملة شعواء على نظام الجماعة وشخص الرسول ﷺ وأهل بيته ، ولكنها ماحاقت إلا بهم وماسببوا للمسلمين إلا خيراً . فالمنافقون ، ما كانوا أثاروا هذه الفتنة وأشعلوا جذوتها إلا لأن يهزموا المسلمين في ميدان تفوقهم ، ميدان الأخلاق الذين كانوا لسبقهم فيها يهزمون أعداءهم في سائر ميادين الحياة ، ولكن الله تعالى ما أخرج للمسلمين من هذه الفتنة إلا خيراً، فقد ثبت من سيرة الرسول ﷺ وسلوك أهله في جنب ، وسلوك أبي بكر الصديق وأهله في الجانب الآخر ، وسلوك عامة المسلمين في الجانب الثالث في هذا الموقف الأليم مبلغ طهارة الجماعة من الدنس والسوء ، ومايحكمها من النظام والتماسك والعدالة الاجتماعية ورحابة القلوب وبراءة الصدور" (المودودي ، ١٣٧٨هـ ، ص١٢٣) .

ثامناً : المبادرة إلي التوبة

التوبة هي : " الاعتراف والندم والإقلاع والعزم على ألا يعاود الإنسان ما اقترفه من ذنب "(ابن حجر ، ١٤٠٨هـ ، ١ /٩٣) . وهي باب من أبواب الرحمة شرعه الله لعباده ، وقد فتح الله باب التوبة للذين تزلّ ألسنتهم بالكلام عن جهل وتعجّل ليراجعوا أنفسهم ، ويتحللوا مما

أوقعتهُم فيه ألسنتهم قبل أن ينزل بهم الموت ، وتفوت عليهم الفرصة ، وقد ورد في القرآن توضيح لمعنى اللفظ في قوله تعالى ﴿ **إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً * وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً** ﴾ [النساء: ١٧ ، ١٨] . ويتكرر في القرآن الكريم في غير موضع الحث على التوبة والتعريف بعاقبتها ، قال تعالى: ﴿ **فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم** ﴾ [المائدة : ٣٩] . وقال تعالى أيضاً : ﴿ **والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها إن ربك من بعدها لغفور رحيم** ﴾ [الأعراف: ١٥٣] . وقال تعالى في موضع ثالث : ﴿ **ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً** ﴾ [الفرقان: ٧١] .

وهي - أي التوبة - من صفات المؤمنين ، قال تعالى : ﴿ **التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين** ﴾ [التوبة: ١١٢] . وهم مأمورون بالتوبة أمراً مباشراً في قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار** ﴾ [التحريم: ٨] . وكلما توجّه العبد بالتوبة إلى الله تاب الله عليه ، وهي رحمة من الله ، وقد أخبرنا الله تعالى أن النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار فازوا بها.. قال تعالى : ﴿ **لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم** ﴾ [التوبة : ١١٧] . ويريد الله سبحانه وتعالى أن يهدينا ويتوب علينا . يقول تعالى : ﴿ **يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم** ﴾ [النساء : ٢٦] .

وقد كان مما توجه به الرسول ﷺ إلى السيدة عائشة رضي الله عنها قبل نزول البراءة من

السماء أن قال : « **أما بعد يا عائشة ، فإنه بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرؤك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب ، الله عليه**» (البخاري ، د.ت ، ٤٧٥٠) . فهو درس تربوي عملي من الرسول ﷺ للمؤمنين .. فعلى المؤمن إن أخطأ أن يعترف بذنبه ، ثم يتوب إلى الله لكي يتوب الله عليه ، وإذا كان الرسول ﷺ يذكّر السيدة عائشة رضي الله عنها بذلك ، فتربية مسلمي اليوم على ذلك أوجب، ليتعلموا المبادرة إلى التوبة فيتوب الله عليهم .

تاسعاً : تقديم المصلحة الدينية

أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين بتقديم مصلحة الدين على كل مصلحة ورابطة ، قال تعالى: ﴿**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضي الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً**﴾ [الأحزاب : ٣٦] . ومن هذا الأساس التربوي تفرعت قواعد وتطبيقات ، فجعل الله تقديم مصلحة الدنيا على مصلحة الدين مما يستحق الوعيد الشديد . قال تعالى: ﴿**قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره**﴾ [التوبة :٢٤] .

وقد تأسس منهج الإسلام في تربية المسلم على تقديم مصلحة الدين على أساس متين من ربطه بالإيمان ، من خلال توجيه هوى النفس الإنسانية في وجهته الصحيحة التي يريدها الله سبحانه وتعالى لعباده . قال رسول الله ﷺ : « **فوالذي نفسي بيده لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده**» (البخاري ، د.ت ، ١٤) . وقال أيضاً ﷺ : «**لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**» (البخاري ، د.ت ، ١٥) . وقال ﷺ في حديث

ثالث : **«ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لايحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»** (البخاري ، د.ت ، ١٦) . وروى البخاري عن عبدالله بن هشام قال : كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب ، فقال له عمر : يارسول الله لأنت أحب إليَّ من كل شئ إلا نفسي ، فقال النبي ﷺ : **« لا والذي نفسي بيده ، حتى أكون أحب إليك من نفسك»** . فقال له عمر : فإنه الآن ؛ والله لأنت أحب إليَّ من نفسي . فقال النبي ﷺ : **« الآن ياعمر»** (البخاري ، د.ت ، ٦٦٣٢) . ورسول الله ﷺ في حادثة الإفك رغم محبته الشديدة للسيدة عائشة رضي الله عنها ، ورغم شدة تعلق قلبه بها ، إلا أنه وجد نفسه مضطراً لانتظار الوحي وحكم الله تعالى ، ولم يُسارع إلى تبرئة زوجته مما نُسب إليها ، رغم أنه كان متأكداً من براءتها . فالمصلحة الدينية مقدمة على كل ما سواها ، ورابطة العقيدة مقدمة على كل الروابط ، وكذلك فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فرغم أنها ابنته ، ويعرفها حق المعرفة ، إلا أنه لم يستطع أن يبادر إلى تبرئتها ، والدفاع عنها ، وظلت قرابته من رسول الله ﷺ بحكم كونه رسول البشرية أقرب إلى قلبه من ابنته .

من خلال ما سبق نتبين أن الإسلام وضع القيم والقوانين الإلهية التربوية التي تحمي الأفراد ، ولم يدع أي مجال للوقوع في الخطأ والضلال ، ولم يتبق على الأفراد إلا اتباع هذه القوانين والضوابط الاجتماعية التربوية لكي يصلوا إلى الطريق السليم من أجل إقامة المجتمع الإسلامي الحق .

ثانيا : القيم التربوية الخاصة بالأسرة

تمهيد :

الأسرة في الإسلام هي الركيزة الأساسية للمجتمع ، وهي في نفس الوقت المجتمع الأصغر للفرد ، ولذلك حرص القرآن الكريم على إقامتها على أسس متينة من القوانين الاجتماعية ، فحسن الاختيار هو الأساس الذي يضمن النجاح ، فلا بد أن يتم على أسس دينية وأخلاقية ، وحُسن العشرة والمعاملة بالمعروف هما البلسم الذي يقضي على المشاكل والخلافات ، وتحكيم شرع الله تعالى في كل ما يطرأ على تلك الحياة المشتركة هو الضمان لديمومة الحياة الزوجية .

وقد تضمنت حادثة الإفك عدداً من القيم التربوية الخاصة بالأسرة المسلمة التي تكفل لها ترابطها واستمراريتها ونجاحها ، ومن أهمها :

أولاً : حُسن العشرة

الأسرة في الإسلام قوامها المودة والرحمة والسكن ، وقد أمر الله الرجال بحكم قوامتهم على النساء أن يعاشرهن بالمعروف . قال تعالى : ﴿ **ولهن مثل الذين عليهم بالمعروف وللرجال عليهم درجة** ﴾ [البقرة : ٢٢٨] . وقال تعالى أيضاً : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولاتعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف** ﴾ [النساء: ١٩] . واستمرار الزواج وكذلك انتهاؤه كلاهما يجب أن يتم بمعروف . قال تعالى : ﴿ **فإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف** ﴾ [الطلاق : ٢] . وقال تعالى : ﴿ **الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان** ﴾ [البقرة : ٢٢٩] .

وعندما ترد حقوق الزوجة على زوجها في القرآن الكريم تأتي متبوعة بالأمر بالمعروف .. قال تعالى : ﴿ **أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولاتضاروهن لتضيقوا عليهن وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن ، فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وائتمروا بينكم بمعروف** ﴾ [الطلاق : ٦] . وللرسول ﷺ وصايا في حُسن العشرة .. فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « **خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي** » (الترمذي ، د.ت ، ٣٨٩٥) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخيارهم خيارهم لنسائهم** » (ابن حنبل، ١٤١١هـ ، ٧٤٠٦) .

ومن حُسن عشرة الرسول ﷺ لأهله أنه بعد أن انتشر حديث الإفك وقبل أن تنزل البراءة من السماء خطب ، فقال ﷺ : « **يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي ، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً** » (البخاري ، د.ت ، ٤٧٥٠) فضرب بذلك المثل في حُسن العشرة حتى في أحلك الظروف وأصعبها ، حيث أعلن أمام الملأ أنه لم ير ولم يجد من زوجته إلا خيراً ، ولم يتأثر بما سمعه عنها ، ولم يدفعه ذلك إلى التسرع في الحُكم عليها بأي شئ نتيجة الغضب والانفعال الناجم عن ذلك الموقف .

ثانياً : التثبت عند سماع خبر السوء

خبر السوء ابتلاء ينبغي على المؤمن أن يتحلى أمامه بالصبر وأن يسعى إلى التثبت ، قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإٍ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** ﴾ [الحجرات : ٦] . " والمعنى : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله إن جاءكم فاسق بنبإٍ وبخبر عن قوم لاتعجلوا بقبوله ، وتثبتوا في الأمر كيلا تصيبوا قوماً وهم براء . وقيل نزلت هذه الآية في الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، وكان رسول الله ﷺ أرسله إلى بني المصطلق بعد إسلامهم ليجمع منهم الزكاة ، فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال : إن بني المصطلق قد جمعت لتقاتلك . فهمَّ رسول الله ﷺ أن يغزوهم فبينما هم في ذلك

قدم وفدهم على رسول الله ﷺ بغير ما قال الوليد . قال الإمام الحسن رضي الله عنه في هذه الآية : فو الله لئن كانت الآية نزلت في هؤلاء القوم خاصة إنها لمرسلة إلى يوم القيامة مانسخها شئ . والفساق والكذابون في كل زمان ، فعلى الإنسان أن يتأنى ولا يتعجل بالحكم على أحد ، فقد أمره الله بالتثبت قبل الوقوع في عاقبة الحكم على الناس بالباطل والإفك والبهتان " (الحربي ، ١٤٠٤هـ ، ص٤٨) .

" وفي حادث الإفك درس بليغ للمسلمين ، فهو يكشف للجماعة المسلمة عن ضرورة تحريم القذف، وأخذ القاذفين بالحد الذي فرضه الله ، ويبين مدى الأخطار التي تحيق بالجماعة لو أطلقت فيها الألسنة تقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ، فهي عند ئذ لاتقف عند حد ، إنما تمضي صعداً إلى أشرف المقامات ، وتتطاول إلى أعلى الهامات ، وتعدم الجماعة كل وقاية ، وكل تحرُّج ، وكل حياء ، وهو خير أن يكشف الله للجماعة المسلمة بهذه المناسبة عن المنهج القويم في مواجهة مثل هذا الأمر العظيم . ولو استشار كل مسلم قلبه لأفتاه ، ولو عاد إلى منطق الفطرة لهداه ، وكان الأَوْلى أن يظن المؤمنون بأنفسهم وبالمؤمنين والمؤمنات خيراً ، وأن يستبعدوا سقوط أنفسهم في مثل هذه الحمأة ، وامرأة نبيهم الطاهرة ، وأخوهم الصحابي المجاهد هما من أنفسهما ، فظن الخير بهما أَوْلى" ((قطب ، ١٤٠٥هـ ، ٢٥٠٠ ، ٢٥٠١) .

وقد روى ابن هشام في السيرة " أن أبا أيوب خالد بن زيد ، قالت له امرأته أم أيوب : يا أبا أيوب ألا تسمع مايقول الناس في عائشة ؟ قال : بلى . وذلك الكذب . أكنت يا أم أيوب فاعلة ؟ قالت : لا والله ما كنت لأفعله . قال : فعائشة والله خير منك " (ابن هشام ، ١٣٧٥هـ ، ٢/ ٣٠٢) .

" هذه هي الخطوة الأولى في المنهج الذي يفرضه القرآن لمواجهة الأمور : خطوة الدليل الباطني والوجداني . فأما الخطوة الثانية فهي طلب الدليل الخارجي والبرهان الواقعي ، وهذه الفرية الضخمة التي تتناول أعلى المقامات وأطهر الأعراض ماكان ينبغي أن تمر هكذا سهلة هينة ، وأن تشيع هكذا دون تثبت ولا بينة ، وأن تتقاذفها الألسنة

وتلوكها الأفواه دون شاهد ولا دليل ، هاتان الخطوتان : خطوة عرض الأمر على القلب واستفتاء الضمير ، وخطوة التثبت بالبينة والدليل ، غفل عنهما المؤمنون في حادث الإفك ، وتركوا الخائضين يخوضون في عرض رسول الله ﷺ وهو أمر عظيم لولا لطف الله لمس الجماعة كلها بالبلاء العظيم ، فالله يحذرهم أن يعودوا لمثله أبداً " (قطب ، ١٤٠٥هـ ، ٤ / ٥٠٢) .

إن مسؤولية التثبت من الأخبار تقع على كل فرد في المجتمع ، فلا يقبل ولا يستمع لأي شائعة أو خبر ـ خاصة إذا كان سيئاً ـ إلا بعد التأكد من صحتها ولابد من تحاشي التسرع وسوء الظن ، وذلك بالدقة واليقظة والحيطة ومعرفة المصدر . وفي حادثة الإفك دَرْس للمسلمين للتثبت من الأخبار وعدم اتهام الآخرين بدون علم ، ففي الإسلام المتهم برئ حتى تثبت إدانته ، والقرآن حث الصحابة إلى ضرورة تكذيب خبر الإفك وعدم تناقله حتى تثبت صحته من عدمها ، والرسول ﷺ عمل على تأكيد ذلك بمساعدة الصحابة ومشاورتهم .

ثالثاً : تحكيم شرع الله

تحكيم شرع الله من أظهر علامات الإيمان ، ومن أهم قيم التربية الإسلامية ، والقرآن الكريم صريح في نفي الإيمان عمن لايحكّم شرع الله راضية به نفسه . قال تعالى : ﴿ **فلا وربك لايؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما** ﴾ [النساء : ٦٥] . وقد أنزل الله القرآن على نبيه ليحكم به بين الناس . قال تعالى : ﴿ **وأنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولاتكن للخائنين خصيماً** ﴾ [النساء ، ١٠٥] . وقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ ان يحكم بين الناس بما أنزل ، ونهاه نهياً قاطعاً عن اتباع أهوائهم . قال تعالى : ﴿ **وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ماأنزل الله إليك** ﴾ [المائدة: ٤٩] . وقال تعالى أيضاً : ﴿ **وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه**

من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم عما جاءك من الحق﴾ [المائدة : ٤٨] .

وقال تعالى في وصف من لم يحكّم شرعه : **﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾** [المائدة : ٤٤] . وقال سبحانه : **﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾** [المائدة : ٤٥] . وقال عزّ وجل : **﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾** [المائدة : ٤٧] . وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما خُيِّر النبي ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثم ، فإذا كان الإثم كان أبعدهما منه ، والله ما انتقم لنفسه في شئ يؤتى إليه قط حتى تنتهك حرمات الله، فينتقم لله (البخاري ، د.ت ، ٦٧٨٦) .

ولإقامة حدود الله في منهج التربية الإسلامية فائدة تعبُّدية تتمثل في طاعة الله ، كما أن لها دوراً مهماً في تماسك المجتمع المسلم . ولعل في قصة المخزومية التي سرقتْ درساً بليغاً وتدريباً تربوياً مهماً ، وقد روى البخاري " عن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت . فقالوا : من يكلم فيها رسول الله ﷺ ، ومن يجترئ عليه إلا أسامة حِب رسول الله ﷺ ؟ فكلّم رسول الله ﷺ فقال : «**أتشفع في حد من حدود الله ؟**» ثم قام فخطب، فقال : « **يا أيها الناس ، إنما ضل من كان قبلكم ، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيْم الله ؛ لو أن فاطمة بنت محمد سرقتْ لقطع محمد يدها**" (البخاري ، د.ت ، ٦٧٨٨) . والحديث يدل على عِظَم وخطورة تضييع حدود الله بالاحتكام إلى غير ماأنزل الله ، أو بالتهاون في إقامتها والتفرقة بين الناس بحسب منزلتهم لأن في ذلك ضلالاً لايرضاه الله لعباده .

وقد احتكم الرسول ﷺ إلى شرع الله فأقام الحد على من ثبت عليه . " وكان الذين خاضوا في الإفك مع ابن أبي مسطح بن أثاثة ، وحسان بن ثابت ، وحمنة بنت جحش ، فضربهم رسول الله ﷺ الحد" (المقريزي ، د.ت ، ١/ ٢١٠) ، فلم يخرج الرسول ﷺ عما شرع الله رغم بشاعة الجرم ، ورغم قدرته على إنزال أشد العقاب بهم .

رابعاً : تقديم رابطة الدين

الرابطة الدينية في حياة المسلمين لابد أن تكون أول وأهم الروابط إطلاقاً ، وهي تعتبر دليلاً على قوة الإيمان وكمال العقل ، ولنا في رسول الله ﷺ قدوة حسنة حينما قدّم هذه الرابطة على جميع ما عداها من الروابط ، فلم يلتفت ﷺ إلى أي رابطة بينه وبين السيدة عائشة رضي الله عنها أو بينه وبين أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

إن تقديم رابطة الدين بين المسلمين يساوي تطبيق الشريعة الإسلامية بين البشر في المجتمع الإسلامي ، لأن هذه الرابطة مستمدة من كتاب الله تعالى وشريعته .

"القرآن الكريم منهج حياة متكامل تنبثق أخلاقه وعباداته وشرائعه من عقيدته ، فهي الأصل وماعداها فروع ، ومن ثمّ جعلها ميزاناً لأقدار الناس وقيم الحياة ، ووضع مادونها من قيم وماعداها من موازين ، وماقام على غير أساسها من أقدار . وسلك الناس في حزبين متميزين : حزب الله وحزب الشيطان، لكل منهما سمته ورايته ، ولكلٍ عمله وغايته ، ولكلٍ فكره وعقيدته ، لايجمع بينهما صلة من قرابة أو نسب أو عصبية أو وطن إلا بالقدر الذي سمح به القرآن ، وحزب الله تؤلف بين قلوب أفراده رابطة الأخوة في الله ، مهما بعد الزمن ، واختلف الجنس وتباينت الأوطان ، يحس المؤمن أنه واحد من الأمة المؤمنة الممتدة في الزمن وتحت راية الله ، له من جهادهم رصيد وفي عملهم أسوة، وفي ذكرهم سكينة ، ومن حبهم زاد على طول الطريق" (شديد ، ١٩٨٩ ، ص ٢٢٥) .

" ولنا في قصة نوح عليه السلام أسوة . قال تعالى : ﴿ **ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين * قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألني ماليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين** ﴾ [هود : ٤٥ – ٤٦] . ﴿ **إنه ليس من أهلك** ﴾ في صراحة ووضوح ، رغم أنه ولده من صُلْبه ، وما أهله إلا الذين آمنوا معه ، واحتوتهم سفينة الإيمان والنجاة . إنها الحقيقة الضخمة

الخالدة التي يُرسي قواعدها القرآن ويُقرها في الحياة ، ويربي على أساسها الأمة المؤمنة ، فلا أبوّة ، ولاقرابة ، ولا زوجية ، إلا على أساس الإيمان" (شديد ، ١٩٨٩ ، ص٢٢٧) .

فالله تعالى أراد أن يقوم المجتمع الإسلامي على يد رسوله ﷺ على أساس أحكام الله تعالى ومبادئ شريعته . وهذه الأحكام تقتضي أن يكون نصر المؤمنين بعضهم لبعض قائماً على أساس الدين وأي شئ آخر فإنما يأتي بعد ذلك . وهذا بالتحديد ما فعله رسول الله ﷺ في حادثة الإفك ، فهو رغم علمه التام ببراءة زوجته مما تُتَّهَم به إلا أنه لم يستطع أن يُعلن شعوره ويقدم رابطة الزوجية على الوحي وكلام الله تعالى وأمره . لقد صبر ﷺ على تلك المحنة شهراً كاملاً حتى فصل الله تعالى من عنده في ذلك الشأن ، وأنزل قرآناً يُتلى ، وكل ذلك دليلاً على وجوب تقديم الرابطة الدينية عما سواها ، وجعل تلك الحادثة درساً عملياً للمسلمين .

وبناءً على ما تقدم يتضح أهمية غرس تلك القيم التربوية داخل الأسرة المسلمة لأنها تعتبر المدرسة الأولى وفيها يبدأ تشكيل شخصية الفرد الدينية والاجتماعية والأخلاقية ، ومنها ينطلق إلى المجتمع الخارجي ليشارك في إقامته وبنيانه على تلك الأسس والقيم التربوية .

ثالثاً : القيم التربوية الخاصة بالمجتمع

تمهيد :

القيم التربوية التي تتعلق بتنظيم المجتمع الإسلامي كثيرة ومتعددة ، ولكن سيقتصر الحديث في هذا المبحث عن بعض تلك القيم المتعلقة بحادثة الإفك ، وهي قيم عظيمة أشاد بها القرآن الكريم ، وعلا بتطبيقها شأن المسلمين في عهد الرسالة ، وهبطت بالغفلة عنها المجتمعات اللاحقة بعد ذلك العهد النيِّر ، وهي مبادئ عامة وبسيطة وتطبيقها يتلائم مع طبيعة وفطرة البشر التي خلقهم عليها سبحانه وتعالى ، وهي تتفاوت بين الشورى والتكافل الاجتماعي وأخذ الحذر والحيطة من الأعداء داخلياً وخارجياً إتّقاءً للفتنة والفساد ، وغيرها من القيم التربوية التي تضمن مجتمعاً إسلامياً قوياً مطبقاً لشريعة الله وناشراً لدينه .

أولاً : التوعية بالأخطار المحيطة حماية من الفتنة

عرض الله تعالى أعمال المنافقين وأسلحتهم بقوله تعالى ﴿ **المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم ، نسوا الله فنسيهم ، إن المنافقين هم الفاسقون** ﴾ [التوبة : ٦٧] . وقد حفل القرآن بالأخبار التي تفضح نيتهم الخبيثة ، ومخططاتهم الدنيئة ، فهم ﴿ **يحلفون بالله إنهم لمنكم وماهم منكم ولكنهم قوم يفرقون** ﴾ [التوبة : ٥٦] . وهم ﴿ **يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين** ﴾ [التوبة : ٦٢] ، وهم ﴿ **يقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب مايبيّتون ، فأعرض عنهم ، وتوكل على الله ، وكفى بالله وكيلا** ﴾ [النساء : ١٨٠] .

وقد حذَّر الله المؤمنين من مصادر الفتنة التي توجد داخل المجتمع متمثلة في المنافقين ، فقال تعالى : ﴿ **لو خرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سمّاعون لهم والله عليم بالظالمين** ﴾ [التوبة : ٤٧] وكشف للنبي ﷺ نواياهم فقال تعالى : ﴿ **لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون** ﴾ [التوبة : ٤٨] .

" وحديث الإفك وماترتب عليه من نزول الآيات التي تفضح الخائضين فيه ، أوضح بجلاء خبث اليهود والمنافقين ، وتآمرهم وتلاحمهم من أجل الكيد للإسلام وأهله والقضاء على الجماعة الإسلامية ، وأنهم - أي اليهود والمنافقين - هم من ألدّ أعداء الأمة الإسلامية ، وأنهم مصدر البلاء والوقيعة ، وأنهم لايهدأ لهم بال حتى يلحقوا الضرر بالأمة الإسلامية ، وأن المنافق عدو متربص بالمسلم الصادق ، وإن ظهر له بمظهر المسالم ، فهو عدو ماكر حاقد لئيم . وقد كشف لنا حديث الإفك عن الحاقدين والكائدين للإسلام المتربصين بالرسول ﷺ وصحبه الدوائر ، وهو درس واضح بليغ للمسلمين عامة لئلا ينخدعوا بالمنافقين ، فهم عدوهم الأول ، وهم مصدر الداء ، مكمن العلة ، منهم تخرج الفتنة وإليهم تعود ، قد اعتادوا الباطل، وألفوا المنكر ، فلا يتورعون عن فعل قبيح، ولامقارفة إثم ، هَمُّهم الأول والأخير زعزعة الصف الإسلامي ، وبعثرة جهود المسلمين ، وإيقاع الفرقة والانقسام بين صفوفهم " (العبد اللطيف ، ١٤١٠هـ ، ص ٢٢٠ ، ٢٢١) .

كما أن حديث الإفك ينبه المسلمين إلى أمر خطير ، وهو أنهم يجب ألا ينتظروا المهاجمة من الميدان الخارجي فقط ، ولايتوقعوها من أعدائهم فحسب ، فيغفلوا عن الميدان الداخلي ، وقديماً قالت العرب : من مأمنه يؤتَى الحَذِرُ . فالذين جاءوا بالإفك ليسوا بعيدين عن المدينة ، وليسوا كلهم بعيدين عن الإسلام ، بل قد تورَّط فيه بعض الكبار تاب الله عليهم وغفر لهم (الطنطاوي ، ١٤١٣هـ، ص٣٦) .

فالمنافقون وباء داخلي ابتلى به الله تعالى المسلمين خاصة في العهد الأول ، عهد رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، فقد كانوا يُظهرون الإيمان والحب لرسول الله ﷺ بينما هو يُخفون الكفر والرغبة في التشتيت والإيذاء ، لذلك كان خطرهم عظيماً .

والنفاق صفة قد تصيب حتى المسلمين أنفسهم ، لذلك لا بد أن يكون قلب الإنسان مؤمناً صافياً ليس فيه شئ من الرياء والنفاق ليكون مؤمناً حقاً ، وأن يبتعد عن الخصال التي يُعرف بها المنافقون كالكذب ، وخلف الوعد ، وخيانة الأمانة والعهد .

وحتى يبين الله تعالى مدى بشاعة هذه الخصلة « النفاق » قرن بين المنافقين والكافرين في قوله تعالى : ﴿ **إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً** ﴾ [النساء : ١٤٠] . وذلك لأن في النفاق أضراراً بالغة تصيب الفرد والمجتمع وتُسبب الفُرقة والفتنة .

ثانياً : الشـــورى

" وصف الله المؤمنين في كتابه العزيز فقال : ﴿ **والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم** ﴾ [الشورى : ٣٨] . وأمر الرسول ﷺ بمشاورة المؤمنين . قال تعالى : ﴿ **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضُوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر** ﴾ [آل عمران : ١٥٩] . وقد استشار الرسول ﷺ الصحابة في أحرج المواقف وأشدها .. ففي غزوة بدر سار رسول الله ﷺ حتى نزل عشياً أدنى ماء من مياه بدر ، فقال : « **أشيروا عليَّ في المنزل** » . فقال الحباب بن المنذر : يارسول الله ، أنا عالم بها وبقلبها ، إن رأيت أن نسير إلى قلب قد عرفناها فهي كثيرة الماء عذبة فننزل عليها ونسبق القوم إليها ونغور ماسواها من المياه (ابن القيم ، ١٤٠٧هـ ، ٣ / ١٧٥) . ونزل الرسول ﷺ حيث أشار الحباب . وفي غزوة أحد استشار الرسول ﷺ أصحابه أيخرج إلى الكفار أم يمكث في المدينة ، وكان رأيه ألا يخرج من المدينة وأن يتحصّنوا بها ، فإن دخلوها عليهم قاتلهم المسلمون على أفواه الأزقة ، والنساء من فوق البيوت . ووافق على هذا الرأي عبدالله بن أبي ، وكان هو الرأي ، فبادر جماعة من فضلاء الصحابة فاته الخروج يوم بدر وأشاروا عليه في

الخروج وألحّوا عليه في ذلك ، وأشار عبدالله بن أبي بالمقام في المدينة ، وتابعه في ذلك بعض الصحابة ، فألحّ أولئك على الرسول ﷺ فنهض ودخل بيته ولبس لأمته وخرج عليهم ، وقد انثنى عزم أولئك وقالوا : أكرهنا رسول الله ﷺ على الخروج" (ابن القيم ، ١٤٠٧هـ ، ٣/١٩٣) .

وفي غزوة الخندق " لما سمع رسول الله ﷺ بمسير الكفار إلى المدينة استشار الصحابة ، فأشار عليه سلمان الفارسي بحفر خندق يحول بين العدو وبين المدينة ، فأمر رسول الله ﷺ بحفره " (ابن القيم ، ١٤٠٧هـ ، ٣/٢٧١) . " ولما طالت الحال على المسلمين أراد رسول الله ﷺ أن يصالح عيينة بين حصن والحارث بن عوف رئيسي غطفان على ثلث ثمار المدينة وينصرفا بقومهما ، وجرت المراوضة على ذلك فاستشار السعدين في ذلك ، فقالا : يارسول الله ، إن كان الله أمرك بهذا فسمعاً وطاعة ، وإن شيئاً تصنعه لنا فلا حاجة لنا فيه ، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان وهم لايطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعاً ، فحين أكرمنا الله بالإسلام ، وهدانا إليه، وأعزنا بك ، نعطيهم أموالنا ، والله لانعطيهم إلا السيف ، فصوب رأيهما ، وقال : «إنما هو شئ أصنعه لكم لما رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة» " (ابن القيم ، ١٤٠٧هـ ، ٣/٢٧٣) .

وفي حادثة الإفك " استشار رسول الله ﷺ أصحابه وبعض المقربين إليه في شأن تلك الفرية فقد استشار علياً بن أبي طالب ، وأسامة بن زيد ، وزوجته زينب بنت جحش . فقال أسامة : هذا الباطل والكذب ولانعلم إلا خيراً .. وقال علي : لم يضيق الله عليك والنساء كثير ، قد أحل الله لك وأطاب ، فطلقها وانكح غيرها . وخلا ﷺ ببريرة وسألها فقالت : هي أطيب من طيب الذهب ، والله ما أعلم عليها إلا خيراً ، والله يارسول الله لئن كانت على غير ذلك ليخبرنك الله بذلك ، إلا أنها جارية ترقد عن العجين حتى تأتي الشاة فتأكل عجينها . وسأل زينب بنت جحش فقالت : حاشى سمعي وبصري ، ماعلمت إلا خيراً ، والله ما أكملها ، وإني لمهاجرتها ، وماكنت أقول إلا الحق . وسأل أم أيمن فقالت : حاشى سمعي وبصري أن أكون علمت أو ظننت بها قط إلا خيراً "(المقريزي ، د.ت ، ١/٢٠٨) .

ويبدو ظاهراً حِرص الرسول ﷺ على استشارة من يثق فيهم : علي بن أبي طالب ، وأسامة،

ومن يظن أن يكون لديه علم : بريرة .. خادمتها ، وزينب بنت جحش .. مهاجرتها ، وكلٌّ صَدَقَ فأوفى ، فالمستشار مؤتمن والمستشير مستفيد لامحالة من رأي غيره .

ثالثاً : محاربة الشائعات

الشائعة هي " مجموعة معلومات تنتشر بسرعة فائقة لارتباطها ببعض الحقائق الرسمية أو المصدق عليها ، ويمكن أن تنتشر بواسطة الأوساط الجماهيرية أو شفاهة . أو بعبارة أخرى : هي معلومات تنتقل بين الأفراد بالرغم من عدم استنادها إلى مصادر موثوق بها ، وهي تستهدف غالباً فرداً معيناً أو نظاماً دينياً أو اقتصادياً ، وربما تستهدف المجتمع كله ، وقد تكون ذات طابع قومي أو عالمي " (عبدالباقي ، ١٩٧٩م ، ص٢٢٠) . وللإسلام منهج تربوي متكامل في محاربة الشائعات يبدأ من تربية المسلم على الصّدق ، وهو أمر إلهي تكرر في القرآن الكريم في مواضع عديدة . قال تعالى : ﴿**إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعدَّ الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً**﴾ [الأحزاب : ٣٥]. وقال تعالى : ﴿**وبشر الذين آمنوا أن لهم قد صدق**﴾ [يونس: ٢] . وقال تعالى : ﴿**ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات**﴾ [يونس: ٩٣] . ومن الدعاء القرآني : ﴿**رب أدخلني مدخل صِدق وأخرجني مخرج صِدق**﴾ [الإسراء : ٨٠] . وفي وصف أنبياء بني إسرائيل ، قال تعالى: ﴿**ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صِدق عليا**﴾ [مريم : ٥٠] . وزادت السنة النبوية الأمر تأكيداً فحث الرسول ﷺ كل مسلم على حفظ لسانه مؤكداً أن ذلك من صفات المسلم . قال ﷺ : «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**» (البخاري ، د.ت ، ٦٠٤٣) .

وحرص الإسلام على ترسيخ هذا الخُلُق الكريم في نفوس المسلمين ، فحذر من فضول الكلام ، واللغو ، فقد يكون فيه هلاك قائله ، قال ﷺ : **«إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لايلقي لها بالاً فيرفعه الله بها درجات ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لايلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم»** (البخاري ، د.ت ، ٦٤٧٨) . وعاتب سبحانه وتعالى من تناقل حديث الإفك من المؤمنين جاهلاً بخطورته ، قال تعالى : **﴿إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبوه هيناً وهو عند الله عظيم﴾** [النور ، ١٥] .

كما حفل منهج التربية الإسلامية بأشكال مختلفة من الحث على فضيلة حفظ اللسان باعتبارها من أهم صفات الإيمان ، ومن أوضح تجليات هذا المنهج ، فهي سبب من أسباب دخول الجنة . يقول رسول الله ﷺ : **«من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة»** (المصدر السابق ، ٦٤٧٤). وهي من علامات الإيمان . وقال ﷺ : **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»** (البخاري ، د.ت ، ٦٤٧٥) .

ويبلغ التحذير من خطر الشائعات قمته بفضح القرآن الكريم لحقيقة نيّة ما صنع المنافقون ، يقول تعالى : **﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لاتعلمون﴾** [النور : ١٩] . فقد يؤدي التساهل في التعامل مع الشائعات إلى عواقب وخيمة تقع على الفرد في الدنيا والآخرة ، وعلى المجتمع ، إذ قد تؤدي إلى منكرات اجتماعية خطيرة ، وقد يقصد من يصنعونها إلى هدف أكبر من النَّيل من سمعة شخص .

"إن المجتمع الإسلامي مجتمع منضبط يجب أن يخلو من التهمة والريبة ، ومن الكلمة غير المسؤولة التي تجرح هذا أو تتهم هذه أو تشيع قالات السوء هنا وهناك . ومن علامات ضبط التشريع الإسلامي للمجتمع أن كل

كلمة تصدر من متكلم وتمس غيره بضرر لابد لها ولصاحبها من حساب وعقاب ، إذ من المسلّمات في شريعة الإسلام أن الإنسان مؤاخذ بما يتكلم به مؤاخذة دنيوية ببعض الحدود إذا بلغت الكلمة حد تناول الأعراض ، ومؤاخذة أخروية يفعل الله سبحانه فيها ما يشاء .. إن المجتمع المسلم له تشريعات إنسانية حكمية تحفظ على الإنسان عرضه وكرامته ، وتحاسب على التلفظ بالكلمة إن تعرضت لعرض الإنسان أو شرفه ، إنه المجتمع الذي بتشريع الله له ما يحفظ عليه دينه ودنياه" (محمود ، ١٤١٥هـ ، ص ٦٣ ، ٦٤) .

إن الشريعة الإسلامية قد شرعت الحدود من أجل أن تحفظ للمجتمع المسلم حقوقه ، وتمنع عنه الفوضى والفتن ، كما بينت أهمية حفظ اللسان ، وأنه إذا أشاع شخص على آخر ولم يأت ببينة وجب إقامة الحد عليه ، وهذا هو العلاج الناجح للقضاء على الشائعات ، فإذا عرف الفرد أنه سيعاقب على أقواله التي يرميها بغير دليل ولا اعتبار سيتردد كثيراً قبل أن يبادر إلى الحديث عما يعرف وما لا يعرف .

ورغم ذلك فإن " وجود أفراد في المجتمع المسلم يسارعون إلي الخوض في أعراض الناس ورميهم واتهامهم دون دليل ، ودون تحر للصدق ، ظاهرة تكاد تكون موجودة في كل زمان ومكان ، وهي تدل على ضعف أخلاق هؤلاء الذين يرددون أحاديث الإفك ، وابتعادهم عن القيم الخلقية الإسلامية ، وهي ظاهرة سيئة يستحق من يمارسها العقاب الذي شرعه الله له ولأمثاله ، ولكنها ليست سبباً في إدانة المجتمع كله ، ففي الناس خيراً وحب للخير ، بل إن إشاعة هذه التهم لابد أن تتمخض عن بعض الخير على الرغم مما فيها من شر . فوجود الشر والأشرار والافتراءات على أعراض المسلمين من فئة ضالة ينبغي أن يترك في نفوسنا رغبة في الدعاء لهم بالهدى والاستقامة بعد التوبة والاستغفار ، والصبر عليهم إذا لم نستطع إقامة الحدود عليهم ليتطهروا بها من معاصيهم ، ويتطهر منهم مجتمع المسلمين ، فلا يجرؤ أحد منهم على أن يعود لمثل ذلك أبداً ، لأن الصبر عليهم - مادامت الحدود معطلة - هو نوع من العلاج والإصلاح " (محمود، ١٤١٥هـ ، ص ٨٣) .

"وحديث الإفك تعليم للمؤمنين أن يحكموا في موقفهم من إخوانهم المؤمنين بما يعرفون من إيمانهم واستقامتهم وتقواهم سابقاً ما لا يسمعونه عنهم من الإشاعات والأقاويل . كما أن الإفك يشير لنا أيضاً إلى مايخطئ به كثير من الناس حينما يرون سوءاً قد انتشر فينزلقون إليه ، ويغرقون فيه ، ظانين أن بقاءهم وحدهم لا

معنى له ، وقد وقع الناس فيه ، ويحسبون أن انتشاره في الناس كافٍ لتغيير حكمه ، ورفع العقاب عن مجترمه ، فالآيات التي نزلت بشأن الإفك تنص بوضوح على أن ﴿**لكل امرئ منهم مااكتسب من الإثم**﴾ [النور : ١١] (الطنطاوي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣٧ ، ٣٩) .

إن المجتمع الإسلامي إذا سمح للشائعات أن تكون ظاهرة منتشرة فيه فسوف يكون ذلك سبب زواله وهلاكه ، وإذا لم يتنبه المسلمون لذلك الوباء ويتصدوا له فسوف يتخلل المجتمع الإسلامي البلبلة وتسوده الفتنة . لذلك لا بد من اتخاذ الوسائل التي تمنع انتشار الشائعات وهي التي وجهت إليها آيات القرآن الكريم في سورة النور ، والتي اتبعها رسول الله ﷺ من خلال الحادثة ، التي تبدأ بحُسن الظن وتكذيب الأخبار السيئة .

رابعاً : التكافل الاجتماعي

التكافل الاجتماعي هو أساس المجتمع الإسلامي ، والمسلمون مكلفون برعاية مصالح الضعفاء والفقراء منهم ، وينشأ التكافل الاجتماعي من حث الإسلام الدائم على المساواة والإخاء بين المسلمين، وهو يعني أن يهتم الفرد بشؤون الآخرين ، وأن يتكفل المجتمع بكل فرد من أفراده بحيث لاتطغى مصلحة الفرد على الجماعة ولا العكس .

"والتكافل بين الفرد وأسرته يعتبر قوام هذه الأسرة ورباطها الذي يقوي عناصر المحبة والود والإخاء ، ويسهم في بناء كيان قوي مؤسس على الحق والخير في المجتمع" (بكر ، ١٩٨٣م ، ص ١٥١ ، ١٥٢) .

وفي حادثة الإفك درس بليغ في وجوب استمرار التكافل الاجتماعي حتى عند إساءة بعضهم إلى بعض ، وقد كان فيمن اشترك في ترويج الإفك مسطح بن أثاثة ، فلما نزلت براءة عائشة، قال أبو بكر ـ وكان ينفق على مسطح لقرابته وحاجته ـ : والله لا أنفعه بنفع أبداً بعد الذي قال لعائشة وأدخل علينا . فأنزل الله ﴿ **ولايأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين من المهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم** ﴾ [النور : ٢٢] فقال أبو بكر : بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي ، فأرجع إلى مسطح نفقته التي كان ينفق عليه ، وقال : والله لا أنزعها منه أبداً .

وهذا دليل على نفس كريمة وقلب معلق بطاعة الله ، شخصية تغلب عليها طاعة الله والسعي لنيل مغفرته مهما كان الثمن ، فأبو بكر الصديق رضي الله عنه كان يُكرم مسطح ويتصدق عليه ، فما كان من هذا بدوره إلا أن رد الحسنة بالسيئة ، وتناقل الحديث الذي يمس أقرب الناس إليه ابنته وعِرضه ، ورغم ذلك كله تغلَّب أبو بكر على مشاعره الإنسانية وعواطفه الأبوية وأعاد ما كان ينفقه على مسطح امتثالاً لأمر الله وابتغاء لمغفرته تعالى . وهذا دليل على منزلة التكافل الاجتماعي في الإسلام ، فالمال في يد الإنسان وسيلة لا غاية ، جعله الله اختباراً وابتلاءً ليرى كيف يعمل به أصحابه نشراً للتعاون والتكافل وتحقيقاً لمعنى الأخوة الإسلامية .

خامساً : العـدل

للعدل دور بارز ومكانة بارزة في منهج التربية الإسلامية ، وأول لَبِنَات بناء العدل ، جعله من أمهات الأوامر التي أمر الله بها المؤمنين به ، والتي يتأسس عليها الإيمان . فقال تعالى : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾ [النحل : ٩٠] . وهو أمر من الله لنبيه ﷺ ، قال تعالى : ﴿ **فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولاتتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم** ﴾ [الشورى : ١٥] .

وخير مانطق به من يقدر على الكلام أن يأمر بالعدل ، قال تعالى : ﴿ **ضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لايقدر على شئ وهو كَلٌّ على مولاه أينما يوجهه لايأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم** ﴾ [النحل : ٧٦] . وقد أمر الله به عباده المؤمنين ، قال تعالى : ﴿ **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً** ﴾ [النساء : ٥٨] .

ونهى الله عباده المؤمنين عن الانحراف عنه بسبب حب أحد ولو كان ذا قربى ، فقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين أو الأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعلمون خبيراً** ﴾ [النساء : ١٣٥] . وقال أيضاً سبحانه وتعالى محذراً من الميل عن العدل محاباة لذوي القربى : ﴿ **ولاتقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لانكلف نفساً إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون** ﴾ [الأنعام : ١٥٢] . وأوجب الله على المؤمن أن يتحرى العدل مع شانئيه ، قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولايجرمنكم شنئآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى** ﴾ [المائدة : ٨] .

وإن " إشارة من الرسول ﷺ كانت كافية حتى يضرب المسلمون أعناق كل من رموه في كل شئ من فراشه ، وعرضه ، وقلبه ، ورسالته ، فها هو ذا يرمي في كل شئ من هذا ، ويتحدث به الناس شهراً كاملاً في المدينة ، ولكنه يصبر عليه ، ويعاني شدائده ، وعندما ياتيه الحكم الإلهي لايقيم الحد إلا على الأفراد الثلاثة من المسلمين الذين كانت قد تثبتت عليهم جريمة القذف " (المودودي ، ١٣٧٨هـ ، ص ١٢٣ ، ١٢٤) .

إنه العدل الذي لاينحرف عنه الرسول ﷺ ، والذي ينبغي ألا ينحرف عنه المؤمنون لحب أو بغض ولو كان أحدهم قادراً على أن يظلم ، وبهذا العدل تقام شرائع الله على الناس جميعاً ، حتى لو كان الجرم الذي ارتكبوه في حق الرسول ﷺ .

سادساً : التثبت من الأخبار

" يقصد بالأخبار كل قول أو فعل ينقل من طرف إلى آخر (فرد أو جماعة) بأي وسيلة من وسائل الإعلام . والأصل أن تسود الثقة في المجتمع لكي تستقيم الأمور وتنتظم الحياة ، فالأصل في المؤمن الصدق ، أما الفاسق فهو مظنة الكذب ، فلا نتسرع في الحكم على خبره حتى نتثبت . ويروى عن عمر بن الخطاب أنه ذكر له رجل بأنه على خُلُق . فقال : هل عاملته بالدينار والدرهم ؟ هل سافرت معه ؟ ثم قال : أحسبك رأيته يدخل المسجد ويخرج . قال : نعم . قال : اذهب فإنك لاتعرفه . والخبر أمانة ومسؤولية ، كذلك يجب الحذر من الأخذ بالظنون ، وحُسن الظن مفروض بين المسلمين كما يقول عمر بن الخطاب : لاتظنن بكلمة خرجت من أخيك إلا خيراً وأنت تجد لها في الخير محملاً " (جاد ، ١٤١٣هـ ، ص ١٧ – ١٩) .

" وفي طريق التثبت من مضمون الخبر يجب معرفة أساليب التضليل التي يستخدمها أعداء الإسلام ، والتي بينها لنا القرآن الكريم لنحذرها ، وهي موجودة في كل زمان ومكان مع اختلاف الشكل واتحاد المضمون" (جاد ، ١٤١٣هـ ، ص ٤٣) .

" ولابد في المجتمع من الانضباط واليقظة والحيطة خاصة في حالة الأمن أو الخوف ، كما في حالة الحروب والأزمات ، لأن خبر الأمن لمجتمع متربص قد يحدث له حالة من الاسترخاء والتفاؤل ، ثم يصطدم بالأخبار غير المتوقعة ، وخبر الخوف في مجتمع آمن مطمئن قد يحدث بلبلة وخللاً ، وقد يؤدي إلى عدم الثقة في جدوى المجهودات العسكرية ، وهذا بدوره يؤدي إلى إشاعة روح الهزيمة". قال تعالى : ﴿ **وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم** ﴾ [النساء : ٨٣] ، فالآية تنكر على من يذيع الخبر دون تمحيص أو تحقيق ، وقد لايكون له أساس من الصحة " (جاد ، ١٤١٣هـ ، ص ٤٧ – ٤٨) .

" ومن واجب المسلم المتادب بأدب القرآن العامل بسنة رسول الله ﷺ أن يتثبَّت ، ولايحكم بحكم ، أو ينساق وراء شائعة كاذبة ، أو وشاية مغرضة ، ليأمن على نفسه من الوقوع في الظلم والإفك والبهتان ، لئلا يعرض نفسه للإثم ، وإخوانه المسلمين للظلم وقالة السوء . ونظراً لكون خطر الأخبار الكاذبة الملفقة لاياتي من جهة الفسق وحده ، بل قد يكون عدلاً وصادقاً وأميناً ومتحرياً للعدل ، ولكنه لايعرف كيف يتلقى الأخبار ، ولا كيف يميزها ويمحصها ، والناس في سماع وترويج الأخبار أنواع شتى ولهم طرق ومسالك متباينة وقد يكون الرجل متحرياً الصدق ، عاملاً به ، دالاً عليه ، ولكنه ذو غفلة ، وليس لديه المقدرة الكافية في تمييز الأخبار والأشخاص ، فتُدَس إليه الأخبار الكاذبة ، وتنطلي عليه الإشاعات المغرضة ، والدعاوي الماكرة ، فينقلها إلى الغير عن حُسن نية ، وسلامة قصد ، فيقع في حبائل الكذابين والمفترين . وخير شاهد على ذلك مسألة حديث الإفك ، وماجَرَّهُ اليهود والمنافقون على المسلمين ، ونبيهم وزوجته من بلاء ومحنة ، حيث أن التروِّي والتثبُّت وتمحيص الأخبار رجولة وفضيله ، وأن ضبط النفس ، والتحكم فيها في مثل هذه المواقف ، لهو من أقوى الدلائل على العقل والحيطة الدينية وحفظ للمودة والود ، ومع الأسف الشديد فإن بعضاً من المسلمين ينساقون وراء الأخبار الكاذبة ، والشائعات المغرضة ، وبعض منهم مطايا للأفاكين والدجالين ، فالكذابون مهرة ولهم طرق كثيرة ومسالك متعددة يقع بعض المسلمين في شركهم وحبائلهم وهو لايشعر" (العبد اللطيف ، ١٤١٠هـ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨) .

سابعاً : إقامة حدود الله

إقامة حدود الله علامة إيمان ودليل طاعة ومنهج إصلاح ، وقد أمر الله في القرآن الكريم بإقامة حدود الله في مواضع عديدة ، فاقترنت بأحكام الصوم ، قال تعالى : ﴿ **تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون** ﴾ [البقرة : ١٨٧] . وقال تعالى : ﴿ **وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم** ﴾ [المجادلة : ٤] . واقترنت بأحكام الطلاق . قال تعالى : ﴿ **وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون** ﴾ [البقرة : ٢٣٠] . وقال تعالى : ﴿ **وتلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون** ﴾ [البقرة : ٢٢٩] . ووردت بعد بيان أحكام الميراث ، قال تعالى : ﴿ **تلك حدود الله ومن يطع الله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين**

فيها وذلك هو الفوز العظيم﴾ [النساء ،: ١٣] . وبعد أحكام العِدَّة ، قال تعالى : **﴿وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه﴾** [الطلاق : ١] . وعندما عَدَّد القرآن صفات المؤمنين ، قال تعالى : **﴿التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين﴾** [التوبة : ١١٢] . وكما وعد الله الحافظين لحدود الله بجنة تجري من تحتها الأنهار ، توعَّد من تعدَّى حدود الله ، وأنذره ناراً تلظَّى ، فقال تعالى : **﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين﴾** [النساء : ١٤] .

إن الحرية هي أساس المسؤولية ، والإكراه يعفي من المسؤولية ، والإسلام قرر ذلك حتى في أمور العقيدة ، فقال تعالى : **﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ...﴾** [البقرة : ٢٥٦] وعلى هذا الأساس أقام الإسلام الحدود على من يُسئ استخدام تلك الحرية ، ويُسى إلى الآخرين ، ويتعدَّى على حقوقهم .

" وقد شرعت الحدود صيانة للمجتمع من الشذوذ والانحراف لا إكراهاً على الفضيلة وحُسن الخلُق ، فهو مجتمع يقوم على عقيدة ينبع منها خُلُق ، ويصونه نظام ، وهذه الثلاثة مجتمعة متضامنة متناسقة تعمل على تربية المجتمع وتطهيره وصيانته ، ففي جريمة الزنا (مثلاً) يتخذ القرآن خطوات متكاملة لتطهير المجتمع منها ، فيبدأ بالارتفاع بمقاييس الجمال ، وتنظيف الإحساس به ، وتذوقه ، ويفسح مجاله حتى يشمل الكون كله بعقيدته وناموسه وآياته ، فيحس المؤمن بجمال العقيدة وجمال الحق والخلُق الكريم ، ويتذوق جمال التناسق والكمال والتقدير ، فيرقى ذوقه الجمالي ، ولايظل حبيساً في محيط الجنس ، وينفر بحسه وكيانه وذوقه من الخلاعة والابتذال" (شديد ، ١٩٨٩م ، ص ١٤٧ ، ١٤٨) .

" وصوَّر الزنا في صورة منكرة كريهة ، قال تعالى : **﴿ولاتقربوا الزنا إنه كان فاحشة وسآء**

سبيلاً ﴾ [الإسراء : ٣٢] ، وقرنه بالشرك والقتل ، فقال تعالى : ﴿ **والذين لايدعون مع الله إلهاً آخر ولايقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولايزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاماً** ﴾ [الفرقان : ٦٨] . واتخذ الوسيلة العملية للوقاية ، فأمر بمعاونة الفقراء على الزواج ، فقال تعالى : ﴿ **وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله والله واسع عليم** ﴾ [النور : ٣٢] .

"وحارب عوامل الغواية والإغواء ، وسد منافذ الشيطان إلى النفس ، قال تعالى : ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون * وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولايبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولايبدين زينتهن إلا لبعولتهن** ﴾ [النور : ٣١ ، ٣٢] . وجعل من أمهات المؤمنين قدوة لنساء المجتمع بالسير على منهج الطهر والعفاف" (شديد ، ١٩٨٩م ، ص ١٤٩) .

قال تعالى : ﴿ **يانساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً * وقرن في بيوتكم ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، وأقمن الصلاة ، وآتين الزكاة ، وأطعن الله ورسوله ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾ [الأحزاب : ٣٢ ، ٣٣] .

" وحذّر من مجرد الرغبة في إشاعة الفاحشة في المجتمع ، فقال تعالى : ﴿ **إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لاتعلمون** ﴾ [النور : ١٩] . وصان الأعراض من الإفك ، ففي مثل هذا المجتمع الطاهر النظيف لايصح ان تُقال كلمة عن عرض إلا إذا كانت جريمة عليها بينة ، ولهذا جاء حدّ القذف حازماً شديداً ، جمع بين الجلد ، وإسقاط الاعتبار ، والتفسيق . فقال تعالى : ﴿ **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولاتقبلوا لهم شهادة أبداً**

وأولئك هم الفاسقون﴾ [النور : ٤] . وبعد كل هذه الخطوات وبعد تطهير المجتمع من كل الشبهات ، يأتي حد الزنا صيانة لهذا المجتمع من كل الشواذ والمنحرفين . يقول سبحانه وتعالى : **﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولاتأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾** [النور: ٢] . وعلى هذا النهج الذي تتداخل فيه آداب النفس ، وآداب المجتمع وتتضامن العقيدة والخلق والتشريع ، طهّر القرآن المجتمع من كل الجرائم والآثام " (شديد ، ١٩٨٩م ، ١٥٠ – ١٥١) .

إن إقامة الحدود شرع شرعه الله تعالى لتنظيم المجتمع والحفاظ عليه والقضاء على الجرائم الاجتماعية الأخلاقية والمالية داخله ، بالإضافة إلى فوائدها الأخروية ، فهي مغفرة وتكفير للذنوب إذا اقترنت بالتوبة ، فهي جزء من الشريعة الإسلامية لا يجوز التهاون في إقامتها بالكيفية التي شرعها الله، ولا بد أن تتحقق شروطها المعينة لإثبات الجريمة حتى يُقام الحد ، ولذلك أقام رسول الله ﷺ الحد على ثلاثة ممن ثبتت عليهم ، ولم يُقم على الباقين ، وترك أمرهم لله تعالى .

ثامناً : الحذر من الأعداء والمغرضين

أمر الله المؤمنين بأخذ الحذر من أعداء الداخل والخارج ، ووضع في ذلك أوامر ونواهي ، وقد فضح الله نواياهم في غير موضع من القرآن الكريم ، ليحذّر المؤمنين من موالاتهم ، قال تعالى : **﴿ولاتؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ماأوتيتم أو يحاجوكم به عند ربكم﴾** [آل عمران : ٧٣] . وأخبر القرآن المؤمنين بأن أهل الكتاب لن يرضوا عن المسلمين إلا إذا اتبعوا ملتهم ، فقال تعالى : **﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ، قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير﴾** [البقرة : ١٢٠] . وقال تعالى : **﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين﴾** [آل عمران : ١٠٠] . والكفار من أعداء الخارج يستهدفون

رد المؤمنين عن دينهم ، قال تعالى : ﴿ **ولايزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا** ﴾ [البقرة : ٢١٧] . وكذلك أهل الكتاب ، يود كثير منهم لو يردوا المسلمين عن دينهم . قال تعالى : ﴿ **ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شئ قدير** ﴾ [البقرة : ١٠٩].

وقد " أوضح القرآن وتبين من حديث الإفك أن الأمة الإسلامية يجب أن تأخذ الحذر من أعدائها كلهم ، وليس العدو من أشهر العداوة وحمل السلاح ، بل قد يكون العدو الداخلي والمنتمي إلى الإسلام إفكاً وزوراً ، كحال المنافقين ، أشد خطراً على الأمة من أعدائها المحاربين علناً ، فها هُم المنافقون في كل وقت وحين ، وحتى يومنا هذا ، أشد عداوة للدعاة المؤمنين الصادقين من الكفار" (العبداللطيف ، ١٤١٠هـ ، ص ٢٢١ ، ٢٢٢) .

وقد "أتقن المنافقون الدعاية السيئة كأدق ما يتقن رجال السياسة الآن الدعايات المغرضة ، وانتهزوا في ذلك ماجبل عليه بعض الناس من أقارب رؤساء المنافقين ، كانوا ينظرون إلى أولئك الرؤساء بعين الإجلال والتعظيم ، وكان لهم في هذا الصدد فنون دقيقة من شانها إدخال الفشل على العقول، وتشويش الأمور على ضعفاء المسلمين ، وإيقاعهم في الحيرة والاضطراب ، ومن ذلك إذاعة أخبار الخوف وتربص الأعداء ونشر الأراجيف" (سالم ، ١٣٨٩هـ ، ص٤٠٥) .

ولإقامة المجتمع الإسلامي المتماسك الذي وصفه رسول الله ﷺ بالبنيان المرصوص ، ولإقامة المجتمع الإسلامي الحضاري القائم على الاحترام والثقة والتعاون والتكافل ، ولإقامة الخلافة التي تحدَّث عنها القرآن الكريم ﴿ وجعلكم خلائف في الأرض ﴾ لإقامة كل ذلك لا بد من تحقيق أحكام الله في الأرض والتحلي بالصفات الأخلاقية ، واتباع القيم التربوية التي تمح أسباب الخلل والضعف كانتشار

الشائعات والأنانية والفردية والتسلُّط وحُب الذات ، وأن نستبدل بها العِفَّة والعفاف ، وإقامة حدود الله ، والعدل ، والشورى ، وغيرها من القِيم التربوية التي فيها خير المسلم دنيا وآخرة .

الفصل الخامس
تطبيقات تربوية معاصرة للقيم التربوية المستمدة من حادثة الإفك

الفصل الخامس

تطبيقات تربوية معاصرة للقيم التربوية المستمدة من حادثة الإفك

تمهيد :

التربية الإسلامية جزء لايتجزأ من الشريعة الإسلامية ، والله تعالى خلق البشر لعبادته وكلفهم بتطبيق شريعته في الأرض ، وهذا يقتضي غرس قيم التربية الإسلامية داخل الفرد وتهذيب سلوكه من خلالها ، وذلك تحقيقاً للخلافة التي أشار إليها الله تعالى في قوله : ﴿**إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً**﴾ [الأحزاب : ٧٢] .

وفيما يلي أهم التطبيقات التربوية التي أمكن استنتاجها من خلال حادثة الإفك :

أولاً : المنهج الإسلامي في محاربة الشائعات المفسدة للمجتمع

يقول الله تعالى : ﴿**ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا**﴾ [الإسراء : ٣٦] . إن المنهج الإسلامي في محاربة الشائعات الذي ورد خلال آيات سورة النور ، وتم تطبيقه عملياً خلال حادثة الإفك إنما يسعى إلى تطهير المجتمع الإسلامي من كل ما يعمل على هدمه وزعزعة قواعده المتينة ، وذلك بمحاربة الشائعات والمحافظة على أعراض الناس والحث على حفظ اللسان ، وعدم اتهام الناس بالباطل ، والحرص على عدم قبول أي خبر أو حديث إلا بعد التأكد من صحته بالدليل المنطقي والبرهان الصادق ، وأنه على من ارتكب شئ من هذا أن

يسارع بالتوبة قبل أن يستحق عقاب الله ، وأنه إذا لم يبادر إلى ذلك فعليه أن يتوقع عقاب الله في الدنيا بالحد ، وفي الآخرة بالعذاب .

قال الله عز وجل : ﴿ **إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون * ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم** ﴾ [النور : ١٩ – ٢٠] .

والشائعة هي " مجموعة معلومات تنتشر بسرعة فائقة لارتباطها ببعض الحقائق الرسمية أو المصدَّق عليها ، ويمكن أن تنتشر بواسطة الجماهير أو شفاهة .. أو بعبارة أخرى هي : معلومات تنتقل بين الأفراد بالرغم من عدم استنادها إلى مصادر موثوق بها ، وهي غالباً ما تستهدف فرداً معيناً أو نظاماً دينياً ، أو اقتصادياً ، وربما تستهدف المجتمع كله ، وقد تكون ذات طابع قومي أو عالمي " . (عبدالباقي ، ١٩٨٩م ، ص٢٢٠) .

وتخضع شدة سريان الشائعة بالنسبة لموضوع معين إلى شرطين أساسيين :

الأول : هو أهمية الموضوع بالنسبة لناقل الشائعة والمستمع إليها .

الثاني : هو مقدار الغموض الذي يغلف الموضوع ويحيط به . (عزت ، ١٤٠٣هـ ، ص١٦) .

بمعنى أنه إذا كانت الشائعة تتعلق بشخصية هامة ومشهورة أو شخصية قيادية في المجتمع ، فإن هذه الشائعة تنتشر بسرعة كبيرة ، بخلاف ما إذا كانت حول فرد أو أو موضوع ليس ذا أهمية لعامة الناس . كما أن المعلومات وتفصيلات وحبكة الشائعة لها دور كبيرة في انتشارها ، فكلما كانت تلك المعلومات مشوقة والتفصيلات محبوكة ، وفي بعض الأحيان مبهمة ، كلما كان للشائعة مجال أوسع للانتشار .

" وتظهر خطورة مروج الشائعة القادر على إحداث التحريف والتشويه وإعادة تشكيل المعلومات وترتيبها بشكل معين مقصود ، خاصة إذا كان في استطاعته التحكم في قنوات الاتصال ، لأنه سيصبح قادراً على لفت الانتباه وتحويل الاهتمام عن طريق إغراق الجماهير في فيض من الأخبار والاهتمامات الزائفة ، بقصد خلق اتجاه انفعالي أو عاطفي معين ، يكون بدوره نواة لرأي عام منقاد قوامه الشائعات " (عزت ، ١٤٠٣هـ ، ص٢١) .

" وليس من شك في أن مُروِّج الشائعة ومطلقها يختلق موضوعها الذي يتضمن جانباً ولو ضئيلاً جداً من الحقيقة ، ويكون له أثر فعال في نفوس الناس الذي يوجه إليهم الشائعة ، ويستجيبون لها ، ثم يمزجها بجوانب من شطحاته الخيالية حتى إنه ليصعب في بعض الأحيان اكتشاف نواة الوقائع الضئيلة الحقيقية ، بل قد تكتشف أنه لاتوجد نواة من الوقائع إطلاقاً " (عزت ، ١٤٠٣هـ ، ص١٩).

" وواضح أن مروج شائعة الإفك هذه ، والتي هزت كيان المجتمع الإسلامي حينئذ هَزّاً عنيفاً ، وهو رؤية الناس لابن المعطل يقود بعيره وعليه السيدة عائشة رضي الله عنها ، ثم عالج هذا القدر الضئيل جداً من الحقيقة بالمبالغة ، وجسَّمَه بطريقة انفعالية ، ومزج بجوانب من شطحاته الخيالية ، وصاغه صياغة خبيثة يسهل على الذين يوجَّه إليهم الشائعة استيعابها وترديدها . وبعد ذلك صبَّ ما لديه في القنوات المناسبة من أعوانه الذين يطمئن إليهم ، لتصل الشائعة إلى أسماع الناس عن طريقهم بالصيغة التي يستهدف من ورائها إحداث الأثر المطلوب . ومعروف أن الشائعة تبدأ أول ماتبدأ في إطار هذه العلاقات حيث يكون التفاعل على أشده ، ثم تنتقل إلى المجتمع ككل " .

" وقد سرت هذه الشائعة بالفعل بشدة بين المسلمين ، ولعبت دوراً أساسياً في إثارة عواطفهم ، وتركت آثاراً عميقة في نفوسهم كادت تحطم معنوياتهم ، وتفقدهم الثقة بقائدهم وبأنفسهم ، ومما ساعد على شدة سريانها

أنها قد توفر لها الشرطان الأساسيان لشدة سريان أي شائعة ، وهما : أهمية موضوع الشائعة ، وهو هنا يتعلق بأطهر بيت وأنقى أسرة ، ثم شدة الغموض الذي غلفها وأحاط بها، وواضح ان الأهمية كبيرة جداً ، والغموض شديد ، لذلك كانت الشائعة ضخمة جداً ". (عزت ، ١٤٠٣هـ ، ص٤٥ ، ٤٦) .

وهذه الشائعة ظلت طوال شهر كامل تسري بين الناس ، وترددها الألسُن ، ويتناقلها الأفراد دون شاهد أو دليل يؤكد صحتها ، ونتيجة لذلك فقد اشتد صداها ، وغيرت تفكير بعض المسلمين ومنهم مسطح بن أثاثة ، وحسان بن ثابت ، وحمنة بنت جحش .

وهناك قواعد وتوجيهات إسلامية لمقاومة الشائعات ، أهمها :

(١) تقع مسؤولية مقاومة الشائعات على كل فرد من أفراد المجتمع ، وذلك بتجنب ترديدها ونشرها بين الناس ، وضرورة إبلاغ المسؤولين بها فور سماعها .. وبذلك يقضي على الشائعات في مهدها وتقف مباشرة عند الشخص الذي يبلغ المسؤولين عنها لا تتعداه ، حيث يأتيه التوضيح السليم من المسؤولين الذين أبلغهم بالشائعات . قال تعالى : ﴿ **وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم** ﴾ [النساء : ٨٣] . ويقول الله تعالى ﴿ **إذ تلقَّونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم * لولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم** ﴾ [النور : ١٥ – ١٧] .

(٢) مما يساعد على مقاومة الشائعات ، التوعية وتفنيد الشائعات ، بالاستناد إلى الحجج والبراهين المنطقية والحقائق الواقعية التي تحصن الشعب ضد سموم الشائعات التي يروجها الأعداء والمرجفون ، وإشاعة الثقة في الناس وتنمية الوعي العام . وقد خطب رسول الله ﷺ في الناس حينما

أحسَّ خطر هذه الشائعة فقال : **«أيها الناس . ما بال رجال يؤذونني في أهلي ويقولون عليهم غير الحق ، والله ماعلمت منهم إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل ، والله ماعلمت عنه إلا خيراً ، ومايدخل بيتاً من بيوتي إلا وهو معي»** .

(٣) من الأفضل أن يقوم بتكذيب الشائعات شخصيات كبيرة محبوبة ، حيث يميل الناس إلى تصديق تلك الشخصيات ويكفوا عن ترويج الشائعات ، ولنا أسوة في الرسول ﷺ حيث تصدى بنفسه لمواجهة تلك الشائعات ، وتفنيدها ، وتكذيبها بالأدلة والبراهين المنطقية .

(٤) محارب الشائعة قد يواجه موقفاً حرجاً ويقع في ورطة ، فلو سكت عليها تزداد انتشاراً ، ولو حاول تكذيبها ـ وهذه أكثر الطرق استخداماً ـ إلا أنها ليست الطريقة المثلى ، لأن التكذيب يتضمن الإعلان عنها ، وسيجعل من لم يسمع هذه الشائعة يسمعها عن طريقه هو ، فوق أنه بذلك يكررها ويرددها ، وهناك أناس يصدقون الشائعات ولايصدقون تكذيبها ، ولذلك فإن الوسيلة المثلى لتكذيب الشائعة أن يكون التكذيب بطريق غير مباشر دون أن يعيد ذكر الشائعة ، أو يكشف مصدرها ، وقصد مروجها منها ، وهذا يتطلب مهارة ممن يتصدى لهذه المهمة . فعندما خطب الرسول ﷺ في الناس لتكذيب شائعة الإفك ، قال : **«ما بال رجال يؤذونني في أهلي ويقولون عليهم غير الحق »** ، فلم يصرِّح رسول الله ﷺ بتفاصيل الشائعة، وما لاكته الألسن وتناقلته ، واكتفى بالتكذيب بطريق غير مباشر . وهو مانجده أيضاً في تكذيب القرآن لهذا الحديث دون ترديده ﴿ **إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم** ﴾ [النور : ١١) .

(٥) من أساليب مقاومة الشائعات ، والقضاء عليها أيضاً أسلوب تحويل الأنظار عن الشائعة إلى مجالات أخرى مفيدة للناس ، تستنفذ جهدهم وتفكيرهم ولاتدع لهم مجالاً للخوض في

الشائعة وتناولها ونقلها من فرد لآخر . وذلك مثل فتح النوادي والجمعيات التي تشغل الشباب وتنمي لديهم المهارات البدنية كالرياضة ، والمهارات العقلية كالتشجيع على القراءة وفتح أبواب النقاش لموضوعات الساعة التي تشغل المجتمع الذي يعيشون فيه .

(٦) إحباط الشائعات بالحقائق بدلاً من تكذيبها ، فحينما تنتشر الشائعات المغرضة ، يرد عليها وتفند ، وتحبط بالإعلان عن الحقائق الصادقة ضد هذه الشائعات دون الإشارة إلى الشائعة، ودون الحاجة إلى إعادة تذكير الناس بها ، لأن ذلك من شأنه تثبيتها في العقول وإعادة للقيل والقال .

(٧) البحث عن مصادر كل شائعة عند ظهورها ومحاولة القضاء عليها من أساسها وقلعها من جذورها وكشف مروجيها وفضحهم . وذلك شأن حادثة الإفك ، فالله سبحانه وتعالى لم يكتف بإثبات براءة السيدة عائشة رضي الله عنها بالآيات القرآنية التي أنزلها في ذلك الشأن ، وإنما اهتم بتشريع الكيفية التي تقضي على هذه الظاهرة من أساسها وليس فقط بإثبات كذب خبر واحد ، وإنما ببيان قبح ذلك الفعل وتشريع العقاب ، والقضاء على ما يؤدي إلى ظهورها .

(٨) العمل على تنمية الثقة بالنفس والإيمان بالله تعالى ، والدعوة لمواصلة الكفاح والصمود وعدم اليأس ، وحث الناس على المساهمة الإيجابية في كل مجال ، وذلك مما يساعد على مقاومة الشائعات وعدم التأثر بها وفهم الأغراض الخبيثة لمروجها (عزت ، ١٤٠٣هـ ، ص ٦٣ – ٧٣) .

وقد بينت الآيات الكريمة موقف المسلمين الصحيح تجاه أي خبر أو شائعة . يقول الله تعالى :

﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسَّكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم * إذ تلقَّونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم * لولا

إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم ﴾ [النور : ١٤ – ١٦] .

هذه الآيات وضعت ثلاث خطوات يقضي بها المجتمع على ظاهرة الشائعات ، ويحفظ بها المسلمون أعراض إخوانهم ، ويحفظوا بها أنفسهم من العذاب :

١ – الاستفتاء القلبي: وذلك بعدم تناول الخبر أو الاستفسار عن مدى صحته والرجوع إلى الفطرة .

٢ – الدليل : فلا يجوز ترديد الأقوال بلا علم ولا دليل .

٣ – الاستغفار والتوبة وحفظ اللسان وعدم الاستهانة بالقيل والقال .

٤ – عدم ترديد الإشاعات .

وقد أشار د. حجازي (١٣٨٨هـ) إلى ذلك في تفسيره لآيات سورة النور بقوله : " ولولا قلتم أيها المسلمون حين سمعتم هذا الخبيث من الكلام : ما يكون لنا أن نتكلم بهذا ، ولاينبغي أن نخوض في عرض النبي ﷺ بلا علم ولا حجة أبداً ، بل تقولون سبحانك يارب وتنزيهاً لك وتقديساً عن أن ترضى لأكرم خلقك وأشرف الناس عندك أن يحل بأقرب الخلق إليه وألصقهم به تلك النقيصة وهذه الفاحشة ، سبحانك يارب هذا بهتان عظيم ، واختلاق أثيم يبهت له الإنسان ويدهش " (١٨ / ٥٤) .

ثانياً : المنهج الإسلامي في محاربة المنكرات الجماعية

لقد حرَّم الله تعالى الفواحش جميعاً ما ظهر منها وما بطن وقد ورد ذلك في القرآن الكريم في مواضع كثيرة مقترنة بالآثام والمعاصي . يقول تعالى : ﴿ **الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم** ﴾ [النجم : ٣٢] . وقد دعت الشريعة الإسلامية إلى محاربة هذه المنكرات بشدة ووضعت لها منهجاً تربوياً متكاملاً للقضاء عليها ، يرتكز هذا المنهج على بيان خطرها على المجتمع الذي تنتشر فيه ، إذ تعرضه لسخط الله سبحانه وتعالى ، ونقمته ، وتصيب النقمة في حالة المنكرات الجماعية من

اقترفها ، ومن رآها فلم ينكرها ، ولم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر . قال تعالى ﴿ **واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا أن الله شديد العقاب** ﴾ [الأنفال : ٢٥] . وقد ساق الله في كتابه الكريم للمؤمنين من أخبار الأمم السابقة ما فيه الموعظة ، ومن خلال أخبار الأمم الذين شاعت فيهم المنكرات ، وماعاقبهم بن من جزاء . قال تعالى : ﴿ **لُعن الذين كفروا من بني إسرآئيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون** ﴾ [المائدة : ٧٨ ، ٧٩] . وقد نبَّه القرآن الكريم من انجَرَفَ من المسلمين في تيار مروجي الشائعة إلى أن من يصنعون هذه الشائعات قد يهدفون من ورائها إلى ما هو أكبر من النيل من سمعة شخص ، وقد يهدفون إلى إشاعة منكرات اجتماعية . قال تعالى : ﴿ **إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لاتعلمون** ﴾ [النور : ١٩] .

ويبدأ المنهج الإسلامي لمحاربة المنكرات بالتحذير من اتباع الشيطان . يقول تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر** ﴾ [النور : ٢١] . فلابد أن ينتبه المسلمون لهذا الخطر المحيط بهم من جميع النواحي وفي كل الأوقات وهو خطر خفي لايكادون يشعرون به رغم أنه سبب كل الشرور والمعاصي . فالمسلم " معرض دوماً لهجوم الشيطان عليه في كل لحظة ، وأنه يستعمل في وسوسته وتضليله كل أداة يصادفها وكل وسيلة يستطيعها ، فها هو عدد من المسلمين وإن كان قليلاً استطاع الشيطان أن يغريهم لفترة من الوقت بالانحراف فانحرفوا وكادوا يوغلون لولا أن منَّ الله عليهم فتابوا وعادوا " (الطنطاوي ، ١٤١٣هـ ، ص٣٦) . يقول تعالى ﴿ **إن الذين اتقوا إذا مسَّهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون** ﴾ [الأعراف : ٢٠١] .

ففي حادثة الإفك التي استهدف صانعوا شائعتها أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، تجلّى بوضوح حرص الإسلام على محاصرة أسباب المنكرات ، ومنها الشائعات . " ولو فلّيت القرآن كله ، وفتشت عما أوعد به العصاة ، لم تر الله تعالى قد غلّظ في شئ تغليظه في إفك عائشة رضوان الله عليها ، ولا أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد ، والعقاب البليغ ، والزجر العنيف ، واستعظام ماركب من ذلك ، واستفظاع ما اقدم عليه ما أنزل فيه على طرق مختلفة ، وأساليب مفتنة كل واحد منها كاف في بابه ، ولو لم ينزل إلا هذه الثلاث لكفى . جعل القَذَفَةَ ملعونين في الدارين جميعاً ، وتوعدهم بالعذاب العظيم بالآخرة ، وبان ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما بهتوا ، وانه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذي هم أهله حتى يعلموا عند ذلك ﴿**أن الله هو الحق المبين**﴾ . فاوجز في ذلك وأشبع ، وفصّل وأجمل ، وأكّد وكرر ، وجاء بما لم يات به في وعيد المشركين عبدة الأوثان " (جمعة ، ١٤١٥هـ ، ص١٣٣) .

إن مهمة تنقية المجتمع المسلم من المنكرات والمعاصي تنبع بالدرجة الأولى من داخل المسلم ، ولذلك لابد من تنمية الوازع الديني والرجوع إلى الفطرة البشرية السليمة التي خلقها الله تعالى داخل كل فرد ، فهذه الفطرة إذا كانت سليمة فإنها كفيلة بتنقية النفس البشرية من جميع الأعمال السيئة والأفعال الخبيثة . وقد تمثّل ذلك واضحاً في حادثة الإفك من خلال موقف أبي أيوب الأنصاري وزوجته رضي الله عنهما حيث أنهما رجعا إلى فطرتهما واستفتيا قلبيهما ثم استبعدا ذلك الأمر الشائن أن يصدر من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، لأنه أمر ينافي الفطرة السليمة . كذلك المحافظة على تطبيق الشريعة الإسلامية والالتزام بآدابها وقيمها في جميع شؤون الحياة ، وخاصة في التشريعات العملية ، هو وسيلة تربوية نفسية وبدنية للمحافظة على استقرار المجتمع المسلم والقضاء على جميع أنواع المنكرات . فهذا المنهج التربوي يبدأ بالأسلوب الإرشادي ، بالوعظ والإرشاد ، وبيان الصواب والخطأ ، ثم يتبعه بالأسلوب العملي ، بالعقاب البدني ، فقد حذر الله تعالى من الوقوع في أعراض الناس بغير علم ، ونهى عن قذف المحصنات الغافلات ، ومن فعل ذلك بعد التحذير فإنما جزاؤه أن يعاقب بالحد ، سواء الجلد أو الرجم .

ويقول الأستاذ المودودي في تفسير قوله تعالى : ﴿ **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولاتقبل لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون * إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم** ﴾ [النور : ٤ – ٥] . " إن المقصود بهذا الحكم أن يودي في المجتمع بأحاديث الناس بالفحشاء ، والعلاقات المنكرة بين مختلفة الأفراد ، وتناقلهم أخبارها ، فإن ذلك مما يأتي بكثير من المضرَّات والمستقبحات ، أكبرها أن تتولد في المجتمعات شيئاً فشيئاً بيئة للفجور والدعارة على صورة غير مرئية . ترى رجلاً يتلذذ ببيان الأخبار الصحيحة أو غير الصحيحة عن غيره ، فإذا بمستمعيه يضيفون إليها ما ليس منها من عند أنفسهم ، ويزيدونها بشاعة ، ويحملونها إلى غيرهم ، بل ويبينون للناس معها ما يكون عندهم من المعلومات عن الأفراد الآخرين أيضاً ، فهكذا لايغمر المجتمع كله موج من العواطف الشهوانية فسحب ، بل ويعلم الذين في قلوبهم مرض أين لهم أن يبلغوا سؤلهم ، وينالوا بغيتهم في المجتمع . فلأجل كل هذا تريد الشريعة أن تضرب على أيدي هؤلاء عند أول خطوة ، وتسد في وجوههم الطريق الذي قد يصل بالمجتمع إلى هذا الحد الموبق ، فتأمر - في جهة - بأصرم مايكون العقاب لمن يرتكب الزنا ، وقامت عليه البينة ، وتأمر في الجهة الأخرى بضرب ثمانين جلدة لمن يرمي غيره بالزنا ولاياتي بأربعة شهود حتى لايتجرأ على مثله في المستقبل " (المودودي ، ١٣٧٨هـ ، ص٨٨) وذلك لصيانة المجتمع من تفشّي المنكرات الجماعية .

وأيضاً على المجتمع المسلم أن يحارب النفاق والمنافقين ، ويكشف كذبهم وحيلهم ، وأن يتخذ كل الوسائل للقضاء على النفاق ، ومحاربة الكذب ، وأن يكون الصدق والالتزام هو خلق كل فرد داخل المجتمع ، وأن يكون السلوك الظاهري موافقاً للاعتقاد الداخلي . يقول النبي ﷺ : «**ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**» (البخاري ، د.ت ، ١ / ١٣٤) . ويكفي لإظهار خطر الكذب والنفاق من حادث الإفك كمثال ، فلولا وجود المنافقين في ذلك الوقت ، ولولا رغبتهم في نشر الشائعات وتفريق الأمة ، لما عانى رسول الله ﷺ وزوجته والمؤمنين ما عانوه .

وقد وصف عرجون (د.ت) ذلك الموقف بقوله : " كان في المجتمع المسلم سمّاعون للمنافقين ، نمّامون ، يسمعون أكاذيبهم فينشرونها بين الناس ليثيروا الفتن ويسمعون من المؤمنين أحاديثهم فينقلونها إليهم . وهؤلاء السمّاعون النمّامون هم الوصائل الخبيثة لنقل الحديث وإشاعة السوء في المجتمعات . فالمنافقون أوحوا إلى هؤلاء السمّاعين كما توحي الشياطين إلى أوليائهم ليبثوا أكاذيب الإفك في مجالس المؤمنين ليتلقفها منهم ضعفاء الإيمان ، ويتلقوها بألسنتهم متضاحكين يسترضون بها عواطف الحمية العصبية بسماعها وإذاعتها ، وبهذا الطريق الخبيث من كيد المنافقين تنوقل حديث الإفك من بيوت ومجالس المنافقين إلى مسامع المؤمنين في مجالسهم ، فجمجم به الهزاة الساخرون الذين يلقون الحديث فلا يبالون بما فيه ، واستطعمه بعض الضحكة الهازلين يحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم " (٤ / ٢٣٤) .

وهذا الموقف من المنافقين كاد أن يعيد المجتمع الإسلامي إلى ما كان عليه من عصبية قبلية ، فقد كاد الأوس والخزرج أن يتقاتلا من جديد لولا رحمة الله وحكمة رسوله ﷺ . فالعصبية القبلية مما يخرج من العقل ويبعد عن المنطقية والتفكير السديد ، فهي من المنكرات التي تنتشر في المجتمع فتؤدي إلى تمزين الوحدة وتفريق الكلمة ، لذلك لابد من محاربتها والقضاء عليها .

وقد ذهبت بعض الأقوال إلى أن رسول الله ﷺ إنما ترك حد ابن أبيٍّ إطفاء لثائرة الفتنة المتوقعة من ذلك التي ظهرت مبادئها من سعد بن عبادة ومن قومه. (القرطبي ، ١٩٦٦م ، ١١/ ٢٠٢).

ولما كانت البيئة الاجتماعية عاملاً أساسياً في التنشئة التي تتضافر عناصرها مجتمعة لتحقيق عملية التربية ، فإن الأسرة تعتبر أول هذه العناصر وأقواها أثراً وتأثيراً في حياة الفرد ، فعلى الأسرة تقع مسؤولية صقل الفطرة البشرية وتنمية الضمير الإنساني ، والمحافظة على العقيدة ، وغرس مبادئ القيم والسلوكيات في الفرد المسلم . وتأتي المدرسة في الدرجة الثانية بكل ما تحتويه من عوامل ، سواء بشرية تتمثل في هيئة التدريس ، وجماعة الرفاق ، أو معنوية كالمناهج والكتب والنشاطات

الاجتماعية وغيرها . فالمدرسة باعتبارها هي الوسيلة التربوية الموجهة المقصودة تعمل على نقل القيم وتثبيتها في نفوس المتعلمين وجعلها جزءاً لا ينفصل عن شخصيتهم . فدور المدرسة لايقتصر على مجرد الكتب والمناهج ، وما تحتويه من معلومات ، بل يمتد إلى ما وراء ذلك .

فمهمة المدرسة التركيز على الكيف لا الكم ، وتحويل ما تعلمه الفرد إلى عادات وسلوكيات ومهارات تكتسب وتمارس ، بالإضافة إلى حماية النشء من الاتجاهات الفكرية المضادة للتيار الإسلامي خاصة في مثل هذه الأيام ، حيث أن وسائل الأعلام تكاد تلقي بكل ما تزرعه الأسرة والمدرسة في نفوس النشئ .

والمسجد كعنصر فعَّال له دور مميز ورئيسي في عملية التربية يتمثل في توضيح الأمور الدينية وربطها بالمتغيرات الاجتماعية ، وتأكيد ما غرسته الأسرة ، وما تعلمه المدرسة من أجل المحافظة على نقاء السريرة ، والدين الصحيح ، وإيجاد الحلول المتمشية مع ما يستجد في المجتمع من مستجدات ، ومواجهة الأخطاء التي تحيط بالمسلمين والتي تتجدد بمرور الزمن .

" والشريعة الإسلامية عامل من عوامل الضبط الاجتماعي ، فعندما يكثر تداول أحكامها في حلقات الوعظ والمنابر ، تصبح مصطلحات اجتماعية وأعرافاً ، وعند ئذ يكون المجتمع بمنعه من المجاهرة باقتراف المحرمات مدافعاً عن كيانه الديني " (النحلاوي ، ١٣٩٩هـ ، ص٦٢) . كما أن تأسيس العلاقات الاجتماعية على أساس الإيمان لا المؤهلات الدنيوية من مال أو جاه أو سلطان ، يجعل أهل المنكرات منبوذين مستبعدين ، وهي وسيلة مهمة من وسائل محاصرة المنكرات الجماعية . وإذا طبَّق المسلمون قاعدة التعاون على البر والتقوى أعرض أفراد المجتمع عن المنكرات حتى تختفي . قال تعالى: ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾ [المائدة : ٢] .

ثالثاً : المنهجية العلمية في التفكير

الأمر بالتفكير والحث عليه عموماً من الأمور التي حفل بها القرآن الكريم وورد ذكره في كتاب الله تعالى بصيغ متعددة .

وفي حادثة الإفك خصوصاً بيَّن الأستاذ سيد قطب (١٤٠٥هـ) خلال تفسيره للآيات المنزلة في شأن حادثة الإفك ، أن القرآن الكريم وجه المسلمين إلى المنهج القويم لمواجهة مثل هذا الأمر العظيم، وهو يتمثل في ضرورة اتخاذ خطوتين أساسيتين :

١ – خطوة الدليل الباطني الوجداني ﴿**لولا إذ سمعتوه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين**﴾ .

٢ – خطوة الدليل الخارجي والبرهان الواقعي ﴿**لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون**﴾ (ص٢٥٠١ ، ٢٥٠٢) .

الخطوة الأولي ويقصد بها الرجوع إلى النفس واستفتاء القلب والضمير ، ثم استبعاد أن يصدر ذلك من السيدة عائشة رضي الله عنها ، أو أن ينسب لها ، فذلك الدليل الوجداني يستدعي من سامعي الإشاعات تمريرها على العقل والقلب والتفكير في مدى صحتها وهذه الخطوة تمنع من تزايد نشر الإشاعات ونقلها من فرد لآخر .

أما الخطوة الثانية خطوة الدليل الخارجي والبرهان الواقعي فيقصد بها الأدلة والبراهين المادية الملموسة التي تؤيد صحة أو كذب أي خبر أو إشاعة تنتشر في المجتمع ، وبراءة السيدة عائشة رضي الله عنها أمر نابع من الفطرة لايحتاج إلى دليل ورغم ذلك فإن كل الأدلة والشواهد كانت تؤكد براءتها مما نسب إليها .

وقد ضرب رسول الله ﷺ المثل الأعلى في التفكير المنهجي في سلوكه إزاء حديث الإفك ، ويتمثل ذلك فيما يلي :

(١) لم تخرجه شناعة ما أشيع عن مقتضى العدل مع السيدة عائشة رضي الله عنها ، ولا مع صفوان بن المعطل - رضي الله عنه - ، وإنما التزم الصبر ، ولم يقل فيهما إلا خيراً .. **«فوالله ماعلمت على أهلي إلا خيراً ، وقد ذكروا رجلاً ماعلمت عليه إلا خيراً ، وماكان يدخل على أهلي إلا معي»** (البخاري ، د.ت ، ٢٦٦١) .

(٢) الثقة بالله تعالى ، وتمالك النفس عند الغضب ، ويتمثل ذلك في موقف أبي بكر رضي الله عنه ، فقد التزم الصمت واكتفى بقوله "والله ما رمينا بهذا في الجاهلية أفنُرْمَى به في الإسلام" . ورغم أن القضية تمسه بالدرجة الأولى إلا أن ثقته بالله تعالى ومحبته الشديدة لرسول الله ﷺ جعلته صامتاً مفوضاً أمره لله تعالى مواجهاً للباطل والأقاويل بالصبر والدعاء والثقة بأن الله تعالى معهم يرعاهم وأنه سينزل ما يبرئ به السيدة عائشة رضي الله عنها ، ويخرج الأمة من الأزمة التي كانت تمر بها وكادت تمزق وحدتها .وكذلك كانت حالة أم السيدة عائشة (أم رومان) رضي الله عنهما ، فقد شاركتها المصيبة ولم تفعل إلا أن تخفف عنها وتلهمها الصبر .

(٣) العمل بمبدأ الشورى ، وهو مبدأ تربوي شديد الأهمية ، عمل به رسول الله ﷺ أثناء مروره بتلك الأزمة ، فقد شاور ﷺ المقربين من صحابته ، ففي الحديث الذي رواه البخاري : " فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ، وأسامة بن زيد ، حيث استلبث الوحي ، يستشيرهما في فراق أهله . فأمّا أسامة بن زيد ، فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله ، وبالذي يعلم في نفسه من الود. فقال : يارسول الله ، هم أهلك ، ولانعلم إلا خيراً . وأما علي بن أبي

طالب ، فقال : لم يضيِّق الله عليك ، والنساء سواها كثير ، وإن تسال الجارية تصدقك" . (البخاري ، د.ت ، ٢٦٦١) .

وكان ممن استشارهم من الصحابة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال رضي الله عنه : من زوجها لك يارسول الله ؟ قال : **«الله تعالى»** . قال : أفتظن أن الله دلَّس عليك فيها ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم . (العقاد ، ١٩٨٨م ، ص٧٧) . فكانت مشورة كل منهم - رضوان الله عليهم - مسلكاً في التفكير المنهجي ، " فأما أسامة بن زيد فغلب غياب دليل الإدانة ، ودرايته بصلاح السيدة عائشة رضي الله عنها ، فقد كان يعلم تماماً براءة السيدة عائشة وأنها ليست في موضع شك أو ريبة كما أنه كان يدرك محبة رسول الله ﷺ لها وشغفه بها ، فأشار عليه بما يعلمه عنها من طهارة وعفاف " (العبد اللطيف ، ١٤١٠هـ ، ١٨٩) .

وأما علي بن أبي طالب ، فخيَّر الرسول ﷺ بين قطع الألسنة واستبدال سواها بها ، أو تقصِّي الأمر عن طريق جاريتها ، فقد كان يرى مدى انزعاج رسول الله ﷺ وقلقه فأراد أن يزيل عنه ما كان فيه من همٍّ وغمٍّ وكان ذلك عند علي رضي الله عنه أهم من أي شئ آخر .

أما عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فجعل تزويج الله إياها لرسول الله دليلاً على براءتها ، فشهد لها بالطهارة والعفاف .

(٤) لجأ رسول الله ﷺ إلى البحث عن الدليل العملي فسأل جاريتها كما أشار عليه علي ابن أبي طالب - وهو تصرف يمليه منهج التفكير العلمي ، فدعا رسول الله ﷺ بريرة ، فقال : **«يا بريرة .. هل رأيت فيها شيئاً يريبك؟ »** فقالت بريرة : لا والذي بعثك بالحق . (البخاري ، د.ت ، ٢٦٦١) . وهذا التصرف الحكيم يدعو إلى محاولة الوصول إلى الدليل مع حسن الظن ،

وهو موقف يطهر المجتمع من الأباطيل ، ويحفظ للناس أعراضهم مع ضرورة إقامة الحد إذا ثبتت التهمة بالحجة والبرهان ، فهذا هو العلاج الناجح لكل مشكلات الحياة ، وهو القادر على إصلاح الحياة .

(٥) كاشف الرسول ﷺ السيدة عائشة على ما في الأمر من صعوبة على نفسيهما رغبة في التثبُّت من الأمر قبل نزول البراءة من السماء . فعن السيدة عائشة قالت : فبينما نحن كذلك إذ دخل رسول الله ﷺ ، فجلس ، ولم يجلس عندي من يوم قيل في ما قيل قبلها ، وقد مكث شهراً لايوحى إليه في شاني شيئاً . قالت : فتشهد ثم قال : « **ياعائشة فإنه بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرؤك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه** » (البخاري ، د.ت، ٢٦٦١) .

وقد قام الأستاذ العقاد (١٩٨٨م) بتحليل حادثة الإفك تحليلاً يعتمد المنهجية العلمية في التفكير ، قال : " هي على التحقيق وشاية لاقيمة لها عند منصف يلمس من وراءها تربة الكيد والوقيعة التي نبتت فيها ، إذ هي تربة وبيئة تنضح بسخائم الخصومة الدينية والسياسية ، ومساوئ الخبث والكذب والنفاق ، وخليق بها أن تبعث الشك في كل حديث ينبت بين طياتها ، ولو زعموا له من الأسانيد والشبهات أضعاف مازعموا لهذه الوشاية الواهية ، وليس لها من سند ولا شبهة إلا أن السيدة عائشة تأخرت في الطريق هنيهة حين تحرك العسكر على حين فجاة ، وقد كانت الرحلة كلها كثيرة المفاجآت في مواعيد النزول والرحيل " .

" تلك شبهة لاتكفي للشك في امرأة من عامة المسلمين الخارجين للجهاد في حضرة نبي الإسلام ، إذ لو كانت كل امرأة تتاخر في الطريق تؤخذ بالتهمة في دينها وعرضها ، لكانت التهم في الأعراض أهون شئ يخطر على بال . بل لو تأخرت كل امرأة في الركب غير السيدة عائشة لجاز أن تلحق بها شبهة من هذا التأخير ، لأن الركب لم تكن فيه امرأة غيرها ، يهابها الموكلون بهودجها أن ينادوها ليتأكدوا من وجودها ، ولم تكن فيه امرأة أخرى تهاب الرقبة من جيش المسلمين كما تهابها، وهي زوج النبي وبنت الصديق ، وقد كان أبوها يحمل راية المهاجرين في تلك الغزوة بعينها " .

" وعلى الذي يقبل وشاية كتلك الوشاية الواهية، أن يروض عقله على تصديق أمور كثيرة لاموجب لتصديقها لأنها تفتقر إلى كل دليل ، والأدلة على ما يناقضها كثير ، وعليه أن يصدق أن صفوان بن المعطل كان رجلاً لايؤمن بالنبي ، ولا بأحكام الإسلام ، وأن يصدق أن السيدة عائشة كانت - وهي زوج النبي - لاتؤمن به ، ولاتعمل بدينه ، ولادليل على هذا ولا ذاك " (ص٧٨ ، ٧٩) .

" بل الأدلة على إيمان صفوان ، وإيمان عائشة ، تجري في كل سياق وردت لهما سيرة فيه .. فصفوان كان مسلماً غيوراً ، وكانت غيرته في حادثة الماء التي تصاول فيها المهاجرون وأتباع ابن سلول ، هي التي عرضته لهجاء حسان بن ثابت ، ولعلها هي التي بغضته إلى ابن سلول ، فتمادى من أجل ذلك في اتهامه ، وقد حضر الغزوات ، ومات شهيداً ، ولم يذكر قط بسوء . ويبقى على من يقبلها أن يسأل نفسه بعد هذا : كيف نشأت علاقة صفوان المزعومة ؟ أفي تلك الليلة بعينها ؟ فكيف اجترأ الرجل على مفاتحة أم المؤمنين وهم يتهيبون المناداة عليها في هودجها؟ بل كيف تخطر له هذه المفاتحة وهو لايشك في إيمانها بزوجها ، وليس له علم قبل ذلك بخبيئة صدرها ؟ وإذا اجترأ هذا الاجتراء هوساً منه ، فكيف يصدّق العقل أن امرأة النبي ، وبنت الصديق ، تكون هكذا لقطة لأول لاقط يصادفها ؟ إن التي تكون كذلك لايخفى سرها حتى يكشفه حديث الإفك ، ويقتصر الحديث فيه على صفوان . أما إذا كانت العلاقة المزعومة قبل ذلك، فكيف خفيت بين الضرائر والحُسَّاد وقالة السوء من المنافقين ؟ وما أغناهما إذن عن المجازفة في الطريق وعن الكارثة التي تنكشف للجيش كله في نحر الظهيرة " (ص٨٠ ، ٨١) .

ومن كل ما سبق نستطيع أن نستنتج أن المؤمن الواعي لابد أن يكون له أسلوب تفكير موضوعي ومنطقي مستمد من قوة الإيمان وصحة المعلومات وسداد التفكير ، وألا ينفرد بالرأي ، وأن يستشير فيما ينويه من أمور ، كما لابد أن يتجنب الأمور التالية :

١ — السطحية في التفكير ، بدون محاولة تعديها إلى حقيقة الأمر ولا السعي لتفهمه ومناقشته وربطه بحقائق الحياة لينتهي إلى وضعه في موضعه .

٢ — التسرع في الحكم على أكثر الأمور ، فترى الواحد يبادر عقب النظرة الأولى إلى الحكم على الأمر على ضوء الفكرة المبدئية ، ثم يصمم عليها ولايبالي بكل من خالفه .

٣ - استعمال المقاييس الفاسدة في الحكم ، فقد يفكر البعض ويبحث ويناقش ولكن على قاعدة فاسدة ومقاييس مختلفة ، فالمجتمع الفاسد والبيئة السيئة تؤثر في النشئ سلوكاً وتفكيراً .

٤ - الطريقة المشوهة الخاطئة في التعلم ، فهي ذات تأثير سئ على طريقة التفكير ، والحكم على الأمور ، وهي تعتمد على الحفظ والاسترجاع ولا تعطي النقاش والاستنتاج المكانة الصحيحة. (الطنطاوي ، ١٤١٣هـ ، ١١ ، ١٢) .

٥ - النظر إلى الأمور من زاوية واحدة هي نظرة قاصرة في حادثة الإفك ، فقد يعتبرها البعض كلها سوءاً وشراً إذا نظر إليها من زاوية واحدة ، أما لو نظر إليها نظرة شاملة من جميع الزوايا لاكتشف حقيقة أنها تشمل العديد من الدروس والعظات ﴿ **لاتحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم** ﴾ [النور : ١١] .

رابعاً : الإعلام الصادق

الإعلام الصادق ضرورة من ضرورات صلاح المجتمع الإسلامي باعتبار أنه تعبير عن القيم الأخلاقية والتربوية والإسلامية ، ونقل الأخبار مسؤولية وأمانة لابد من الحذر عند تناقلها ونشرها .

والإعلام جزء من منظومة المجتمع الإسلامي التي تقوم على الصدق ، فهو صفة للفرد والمجتمع. والإعلام بكل وسائله وأدواته من الوسائل العامة في نشر وتثبيت القيم التربوية وغرسها في نفوس النشئ . قال تعالى : ﴿ **إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً** ﴾ [الأحزاب : ٣٥] . وجزاء المؤمنين قَدَم صِدق . قال تعالى : ﴿ **وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق** ﴾ [يونس : ١٠] . وقال تعالى أيضاً ﴿ **ولقد بوأنا بني إسرآئيل مبوأ**

صدق ورزقناهم من الطيبات ﴾ [يونس : ٩٣] . ومن الدعاء القرآني : ﴿ رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق ﴾ [الإسراء : ٤] .

ووصف الله أنبياء بني إسرآئيل بقوله تعالى ﴿ ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا ﴾ [مريم : ٥٠] . ولا نبالغ إذا قلنا إن الإسلام حرب على الإفك ، فالأفَّاك : هو الكذاب الذي يكذب على الله . قال تعالى : ﴿ هل أنبئكم على من تنزَّل الشياطين * تنزَّل على كل أفَّاك أثيم * يلقون السمع وأكثرهم كاذبون ﴾ [الشعراء : ٢٢١ – ٢٢٣] . والأفَّاكون يقولون ﴿ منكراً من القول وزوراً ﴾ [المجادلة : ٢] ، ويسعون بإفكهم إلى ﴿ أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ﴾ [النور : ١٩] ، بل كثيراً ما يتجاوز الأفَّاكون حد القول ، أو حد التطاول ، بالكذب على أعراض الناس إلى حد الكفر بالله أو الشرك به سبحانه . قال تعالى : ﴿ إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً * إن الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق ﴾ [الصافات : ٨٦] . أو التمني على الله سبحانه ﴿ ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون ﴾ [الصافات : ١٥١ ، ١٥٢] . والإفك إذن خلاق الكُفَّار سواء وهم يكذبون على الرسول ﷺ ، أو وهم يصدون عن اتباع آيات الله البينات . (الفوال ، د.ت ، ص ٥٠٨ – ٥١٠) .

وحديث الإفك بآياته القرآنية وبالدروس العملية المستفادة من حكمة وسداد تفكير رسول الله ﷺ يمكن أن نستنتج منها كثيراً من الدروس الإعلامية التي نحن أحوج ما نكون إليها خاصة في هذا العصر شديد الانفتاح .

ووسائل الإعلام بكل أنواعها المختلفة من كتب وصحف ومجلات وإذاعة وتلفزيون ومؤتمرات ومعارض وأشرطة ومنشورات وإعلانات وغيرها ، إنما هي سلاح ذو حدين إذا أحسن استخدامها كانت وسيلة تربوية فعالة ، وإذا أسيئ استخدامها كانت وسيلة هدم . ولأهمية هذا الجانب التربوي

لابد أن يعطى الاهتمام الكافي ، وأن تعالج الموضوعات الإعلامية من ناحية إسلامية على أيدي متخصصين مربين باحثين إسلاميين .

وهناك أمور بالغة الأهمية لابد من اتباعها عند مناقشة موضوع الإعلام ، وهي :

١ – **التبليغ** : فالإسلام رسالة إلي الناس كافة ، وماكان مثيله ينبغي أن يسلك طريق التبليغ لكي تنتقل الرسالة إلى المرسل إليهم عبر الرسول ، فكمال الرسالة أن ترسل ، وضرورتها أن يقوم بإرسالها رسول ، وليس من تمام الرسالة أن لاترسل ومن نقصها أن تلبث في الستر ولاتخرج إلى العلن " . قال تعالى : ﴿ **فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين** ﴾ [النحل ، ١٢٥] .

٢ – **التحقيق** : فالبلاغ قبل أي شئ حق يراد إعلام القوم به ليسيروا على هديه ، بعد أن أضلهم الباطل زماناً " . ومن أوجب الواجبات أن يبلغ الرسول الدعوة وأن يكون صادقاً في تبليغها مصدقاً لها ، ومن الصدق صدق التطبيق ، وسيرة الرسول ﷺ على هذا الحال ، فهي أسوة يُتأسَّى بها لأنه كان نموذجاً للرأي والخبرة ، والسُنَة في ذلك مثال الأمثلة .

٣ – **الأمانة** : وهي " على وجوه : الأمانة مع صاحب الدعوة ، والأمانة مع النفس ، والأمانة مع القوم " (أشمل ، ١٤١٠هـ ، ص ٤٦ ، ٤٨) .

ويعرف الإعلام بأنه " كل نقل للمعلومات والمعارف والثقافات الفكرية والسلوكية بطريقة معينة من خلال أدوات ووسائل الإعلام والنشر الظاهرة والمعنوية ، ذات الشخصية الحقيقية أو الاعتبارية بقصد التأثير ، سواء عبر موضوعياً أو لم يعبر ، وسواء كان التعبير لعقلية الجماهير أو لغرائزها . وتتلخص مواصفات الإعلام الحديث فيما يلي : (١) السرعة (٢) التنظيم (٣) التكثيف (٤) الشمول (٥) الفعالية . (نويري ، ١٤١٠هـ ، ص ٩٨ ، ٩٩) .

" وانطلاقاً من ضرورة وجود إعلام إسلامي يعبر عن مفاهيم الإسلام وينضبط بالضوابط الشرعية ، بذلت جهود عديدة لطرح تصورات لمنطلقات ومجالات وسمات هذا الإعلام ، وصدر عن المؤتمر العالمي الأول للإعلام الإسلامي المنعقد بجاكرتا عام ١٩٨٠م (ميثاق الشرف الإعلامي الإسلامي) والذي ألزم الإعلاميين المسلمين بضرورة العمل على إيجاد وتدعيم الشخصية الإسلامية المتكاملة ، وبالتدقيق والتثبت فيما يُذاع ويُنشر ويُعرض حماية للأمة الإسلامية من التاثيرات الضارة بشخصيتها الإسلامية ، وبقيمها ومقدساتها ، ودرء الأخطار عنها ، وبالامتناع عن إذاعة ونشر كل ما يمس الآداب العامة ، أو يوحي بالإنحلال الخلقي ، أو يرغب في الجريمة والعنف ، أو يبث الرعب ، أو يثير الغرائز سواء بطريق مباشرة أو غير مباشر " (نويري ، ١٤١٠هـ ، ص ١٠٤) .

فالإعلام الإسلامي هو : "الاتصال الشامل الذي يدعو إلى الخير ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويحقق أسباب النفع والصلاح للمجتمع المسلم ، بالإضافة إلى الدعوة إلى الله عز وجل " (نويري ، ١٩٩٥م ، ص٣٦) .

ومن خلال تتبع الأسلوب القرآني عامة ، ومن خلال حادثة الإفك ، يمكن استنتاج الخطوات والشروط التي ينبغي على وسائل الإعلام تتبعها عند نشر الأخبار لضمان نجاحها ولتحقيق الهدف منها ، وهو نشر العقيدة الإسلامية ، وتثبيتها ، والسير بالمجتمع إلى طريق الخير والمعروف ، ومحاربة المنكرات والقضاء عليها ، وتوعية الأفراد بالأخطار المحيطة ، والكشف عن أساليب ترويج الشائعات ، وكيفية مقاومتها ، واتخاذ الاحتياطات لعدم الوقوع فيها . وفي المقابل لابد من مراقبة وسائل الإعلام بحيث لاتاتي مناقضة لما يبثه المجتمع من قيم وعادات إسلامية تربوية لاتدعو إلى ما يتعارض مع ما تزرعه الأسرة والمدرسة بحيث تكون وسيلة هدم وزعزعة .

وفيما يلي أهم الخطوات والشروط التي لابد من توافرها في أي عمل إعلامي صادق :

١ - **ضرورة انطلاق العمل الإعلامي من القيم والمفاهيم الإسلامية** بحيث تهدف إلى نشر الثقافة الإسلامية وأن تكون عاملاً للتوعية والوعظ والإرشاد ، وأن تدعم كل ما ينشر فيها

بالأدلة من القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، وتناقشها من وجهة نظر إسلامية .

٢ - **الاهتمام بطرق النشر والوسائل المتبعة في ذلك** ، فتحرص على استخدام الأساليب القرآنية في العرض والإقناع ، وعلاج الظواهر الاجتماعية ، وأن تكون طريقة عرض الأخبار بصورة لائقة إسلامياً واجتماعياً ، بحيث يقبل كل فرد مسلم أن تدخل بيته ، وتطّلع عليها أسرته ، فلا ينبغي أن تنشر ما ينافي الأخلاق والآداب العامة أو ما ينافي الحياء ، أو أن تجعل أعراض الآخرين وسيلة للتسلية والشهرة والربح المادي ، فهذه الأمور كلها إذا لم تراع في العمل الإعلامي فإن ذلك سيؤدي إلى نشر الفساد والفواحش في المجتمع الإسلامي وتخالف رسالتها الأساسية .

وقد علّق الشيخ ابن تيمية (١٤٠٨هـ) على موضوع نشر الفواحش في المجتمع بقوله : " كل عمل يتضمن محبة أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا داخل في الآية في قوله تعالى ﴿ **إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والأخرة ....** ﴾ بل يكون عذابه أشد ، فإن الله تعالى قد توعّد بالعذاب على مجرد أن تشيع الفاحشة بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة ، وهذه المحبة قد لايقترن بها قول أو فعل ، فكيف إذا اقترن قول أو فعل ، بل على الإنسان أن يبغض ما أبغضه الله من فعل الفاحشة والقذف بها ، أو إشاعتها في الذين آمنوا ، ومن رضى عمل قوم حُشِرَ معهم كما حُشرت امرأة لوط معهم ولم تكن تعمل فاحشة اللواط ، فإن ذلك لايقع من المرأة ولكنها لما رضيت فعلهم عمّها العذاب معهم . فمن هذا الباب قيل : من أعان على الفاحشة وإشاعتها لأجل ما يحصل له من رياسة أو سحت يأكله وكذلك أهل الصناعات التي تنفق بذلك مثل المغنيين وشَرَبَة الخمر وغيرها ، فإنهم يحبون أن تشيع الفاحشة ليتمكنوا من دفع من ينكرها من المؤمنين . ولاخلاف بين المسلمين أن ما يدعو إلى معصية الله وينهى عن طاعته منهي عنه محرّم " (١٠٦ ، ١٠٧) .

٣ - **أن يلتزم الحياد والموضوعية** .. وتشير إلى الحوادث والقضايا من وجهة نظر محايدة بحيث لاتقحم الرأي الشخصي أو تميل إلى جانب دون الآخر ، ولاتعمل على التأثير على المتلقين والرأي العام ، وأن تبتعد عن الزيادة أو الخوض والتهويل ، واستخدام أسلوب الإثارة ، لأن ذلك مما قد يساعد على الترويج للشائعات ، وانتشار الأخبار الكاذبة بين الناس . ولذلك

لابد أن تدعم كل ما تنشر بالأدلة الصادقة المؤيدة.

وفي آيات سورة النور حينما تحدث القرآن الكريم عن حادثة الإفك " عُرضت الوقائع بأقصى مستوى من الحياد والموضوعية ، وتتجلى هذه الموضوعية إذا علمنا مدى الحيرة والتوتر والقلق والارتباك الذي حدث في مواقف السيدة عائشة رضي الله عنها والرسول ﷺ ووالدي عائشة والمجتمع الإسلامي كله ، وحينما نزل القرآن بآيات البراءة وضع الحقائق ، واستعرض الوقائع ، وما به من خصوصيات وأسرار دون أن يكون لرسول الله ﷺ أي دور في هذا العرض القرآني ، مما يؤكد قمة الموضوعية في عرض المعلومات القرآنية" . (رشوان ، ١٤٠٥هـ ، ٨٧ ، ٨٨) .

٤ – ضرورة التأكد من المعلومات والحقائق قبل نشرها والتثبُّت من مدى صحتها وإقامة البرهان والحجة على ذلك ، حيث أن الهدف في الإسلام من نقل الأخبار هو :

١ – هداية الإنسان إلى الطريق المستقيم ونشر الدعوة دون تحريف أو تشويه .

٢ – تكوين العقلية والقدرة التي تفند الأخبار ، والتمييز بين الحق منها والباطل .

٣ – الوقوف على الحقائق الثابتة والمعلومات الصحيحة لرؤية الأحداث من منظار إسلامي .

٤ – حماية المجتمع من الغزو الفكري ، وتنقية العقيدة من الافتراءات ، والحقائق من التشوية وليس في الإسلام مايُعرف بالحرب النفسية التي تستهدف عقل الإنسان ونفسيته . (جاد ، ١٤١٣هـ ، ١٨ ، ١٩) .

وفي المقابل فإن نقل الأخبار الملفقة الكاذبة قد يؤدي إلى :

* تكون مصدر من مصادر الرعب والخوف والدمار النفسي للأمة الإسلامية ، وتحطم المعنويات والقضاء على المواهب ، وإصابة جسد الأمة بما يشبه الشلل ، فتتعطل الحركة ، وتزرع في نفوس الناشئة الخوف والجبن والخور .

* تكون معول هدم وأداة تمزيق وقطيعة ووسيلة هامة للتباعد والتناحر والتباغض بين المسلمين .

* تهوين أمر الدين واحتقاره وتقليل شأنه في نفوس المسلمين وإظهاره للعالم الآخر بمظهر معاكس لحقيقته ومضمونه (عبداللطيف ، ١٤١٠هـ ، ٢٤٠) . والتهاون في التأكد من صحة المعلومات أو استخدام أسلوب الدعاية الكاذبة للترويج لأمر ما يجعل الكذب والخيانة ينتشر في المجتمع بين الأفراد ، وفي ذلك خطر شديد على النشئ حيث أنه يجعل الكذب عادة من ضروريات الحياة .

٥ – الغزو الفكري ، حيث أن الأمة الإسلامية معرضة لهجوم من أعداء الإسلام في كل وقت ، ومن كل أنحاء العالم للقضاء على الإسلام وإبعاد أفراده عن القيم والقواعد الإسلامية متخذة في ذلك أساليب متعددة أهمها وسائل الإعلام ، حيث تحاول من خلالها إحداث البلبلة وزرع الشك والريبة ، واستخدام أساليب الكذب والخداع والتضليل لتمزيق الوحدة الإسلامية وإعاقة مسيرتها .

فمهمة وسائل الإعلام في المقابل كشف هؤلاء واتخاذ كل الأساليب الممكنة للرد عليهم وإفشال مؤامراتهم وذلك ببث الحقائق ونشر الأدلة والبراهين ، والتيقظ لرصد أساليبهم وخططهم مقدماً ، واتخاذ السبل لمقاومتها ، وأن تعمل على زرع الثقة في النفوس ، ونشر المثل العليا والعادات والتقاليد الفاضلة .

إن الإعلام النابع من منهج الإسلام شرط مهم من شروط بلوغ التربية الإسلامية هدفها المنشود، فهو يلعب دوراً تربوياً مكملاً لدور الأسرة والمدرسة ، وما يبثه من قيم ينبغي أن تتوائم مع قيم الإسلام حتى لايكون عامل هدم وتخريب يفسد ما تقوم به مؤسسات التربية الإسلامية الأخرى .
وأن تحذر من التورط في " إنشاء المنكرات الإعلامية والعمل على سرعة تصحيح المسار الإعلامي واستخدام الحواس من سمع وبصر ولسان وغيرها فيما يرضي الله تعالى ، ولابد أن تراعي مدى استخدام هذه

الحواس بحيث تمكنها من أداء وظيفتها في الإطار الشرعي ، ويحقق الأهداف الإعلامية من تنشئة اجتماعية صالحة لمفردات المجتمع إلى جانب تثقيفها وتعليمها وتنويرها وتكوين رأي عام مستنير ، والترفيه عنها وتسليتها ، إلى غير ذلك من أهداف إعلامية بحيث تعرض بأسلوب هادف بناء بريئ من هذه المنكرات وتلك الانحرافات الإعلامية ، وبما يحقق سعادة الفرد والمجتمع سعادة في الدنيا والآخرة " (رشوان ، ١٤١٥هـ ، ١٢٥) .

فوسائل الإعلام مسؤولة عن تغيير المنكر ، وطرح المشكلات المعاصرة ، والظواهر الاجتماعية التي تحتاج إلى حلول للنقاش ، وإتاحة الفرصة للجميع للمشاركة مما يزيد من نشر الثقافة الاجتماعية ، وطرق التفكير السليمة ، وزيادة الإحساس بالمسؤولية .

خامساً : التروِّي وعدم التسرع في الحكم

يقول الله تعالى : **﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإٍ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾** [الحجرات : ٦] . إن التثبت والتروي والحيطة في نقل الأخبار هي من أساسيات الدين الإسلامي ، وقد جعل الإسلام قواعد وضوابط لنقل الأخبار وتصديقها ولم يجعل الأمر عرضة للقيل والقال . إن من واجب جميع أفراد المجتمع المسلم الالتزام بهذه الضوابط والتروي ، ومحاولة التأكد من كل خبر قبل روايته أو تصديقه لما يترتب على ذلك من أضرار بالغة على الأمة ، حيث أن ذلك مما يزعزع قواعد الثقة بين المسلمين ، ويزرع بذور الحقد والعداوة بينهم .

ويمثل موقف الرسول ﷺ نموذجاً من أرقى نماذج التروِّي والتأنِّي ، فقد تأخر الوحي حتى نزل ببراءة السيدة عائشة مما رُميت به شهراً كاملاً ، وقد تروَّى الرسول ﷺ ، فلم يتسرع بإعلان براءتها وإدانتها ، ولم يتسرع كذلك بمعاقبة مروجي الشائعة ، واستعان خلال هذه الفترة العصيبة بوسائل التثبت المتاحة ، فاستشار علي بن أبي طالب ، وأسامة بن زيد ، رضي الله عنهما . وسأل الجارية ، وسأل السيدة عائشة نفسها ، وهو في كل ذلك لايدين أحداً .

وهذا أسلوب ضروري في مواجهة الأحداث الحسَّاسة مهما بلغت ، وقد عرض سعد بن معاذ على الرسول أن يكفيه أمر الأفَّاكين ، فيروي البخاري أنه قال : أنا أعذرك منه يارسول الله . إن كان من الأوس ضربنا عنقه ، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك . (البخاري ، د.ت ، ٢٦٦١) . ولولا التزام الرسول ﷺ التروِّي والتأنِّي لعاقبهم ، ولكنه آثر انتظار البينة حتى جاء الفرج من السماء .

" ويلاحظ في حادثة الإفك أن القرار ـ البراءة أو الحكم الشرعي ـ لم ينزل مباشرة ببيان الأمر ، وإنما كان ذلك بعد الحادثة بما يزيد عن شهر وكان ذلك ليحث المسلمين على البحث عن حقيقة الأمر بأنفسهم سالكين السبيل السديد القويم في البحث ، وبذلك يتمرسون بالطريقة الصحيحة التي يحسن استعمالها لاتخاذ الموقف الصحيح ، فإن أمور الحياة أوسع وأكثر من أن تحصر ، فإذا لم يصبح لدى الناس التفكير السديد والتصرف الحميد، زاد خطؤهم ، وكثر زللهم ، وأدى ذلك إلى انحراف المجتمع وانهياره " (الطنطاوي ، ١٤١٣هـ ، ص٤٥).

وقد يكون أيضاً من أسباب تأخر نزول الوحي ببيان الحقيقة مدة من الزمن تعويد للمسلمين على الصدق والصبر وبيان لأهمية وضرورة التأني والتروي والحيطة عند تكوين الرأي ، وخاصة في الأمور العظيمة كالحكم في القضايا التي تمس أعراض الآخرين . فالمرء المسلم لابد أن يحسن الظن بأخيه المسلم ، ويدافع عنه ، خاصة في غيابه ، وأن يلتزم الصدق في أفعاله وأقواله حيث أن الصدق دعامة الفضائل وأساسها ، ومظهر من مظاهر الرقي الاجتماعي ، وهو من صفات الله تعالى التي وُصِفَ بها كلامه في قوله تعالى ﴿ **ومن أصدق من الله قيلاً** ﴾ [النساء : ٨٧] . وقال تعالى ﴿ **ومن أصدق من الله حديثاً** ﴾ .

ويقول الرسول ﷺ : **«عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر ، والبر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق حتى يكتب عند الله صدّيقاً . وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وما يزال الرجل يكذب حتى يكتب عند الله كذّاباً»** (البخاري ، د.ت ، ١٦٠١٦) .

إن هذا الحديث يمثل قاعدة إسلامية هامة وهي أن المسلم لابد أن يلتزم الحذر والحيطة ، وأن يحاول التأكد من كل خبر قبل روايته أو تصديقه ، كما يدل هذا الحديث على أهمية التزام الصدق وتحريه ، وفداحة الكذب ، وضرورة اجتنابه لكي لايعرض نفسه للوقوع في الإثم والمعصية ، ولكي لايعرض غيره للظلم وقالة السوء . " وقد بيّن رسول الله ﷺ في الحديث السابق كيف نربي الصدق في النفوس ونجعله طبعاً من طبائعها ، وهو أن يصدق الشخص ، ويتحرى الصدق في كل أمر من شؤون الحياة ، حتى يعتاد الصدق ويهديه صدقه إلى البر . والبر اسم جامع لكل خير يوصل إلى الجنة الهدف الأساسي لكل مسلم ومسلمة . وإذا تعوّد المرء الصدق فإنه يجتنب الكذب الذي يهدي إلى الشر والفجور . والفجور اسم جامع لجميع الرذائل الموصلة إلى النار " (الحربي ، ١٤١٤هـ ، ٥٠) .

" ونظراً لكون خطر الأخبار الكاذبة الملفقة لا يأتي من جهة الفسق وحده بل قد يكون الرجل عدلاً وصدقاً وأميناً متحرياً للعدل ولكنه لايعرف كيف يتلقى الأخبار ، ولا كيف يميزها ويمحصها ، وقد يكون الرجل متحرياً الصدق ، عاملاً به ، دالاً عليه ، ولكنه ذو غفلة ، وليس لديه المقدرة الكافية في تمييز الأخبار والأشخاص ، فتدس إليه الأخبار الكاذبة ، وتنطلي عليه الإشاعات المغرضة والدعاوي الماكرة ، فينقلها إلى الغير عن حسن نية ، وسلامة قصد ، فيقع في حبائل الكذابين والمفترين ، وخير شاهد على ذلك مسألة حديث الإفك ، ما جرّه اليهود والمنافقين على المسلمين ونبيهم وزوجته من بلاء ومحنة . وحيث أن التروي والتثبت وتمحيص الأخبار رجولة وفضيلة ، وأن ضبط النفس والتحكم فيها في مثل هذه المواقف لهي من أقوى الدلائل على العقل والحيطة الدينية ، وحفظ للمودة والود ، ومع الأسف الشديد فإن بعضاً من المسلمين ينساقون وراء الأخبار الكاذبة والشائعات المغرضة ، وبعض منهم مطايا للأفاكين والدجالين ، فالكاذبون مهرة ، ولهم طرق كثيرة ، ومسالك متعددة يقع بعض المسلمين في شركهم وحبائلهم وهو لا يشعر " (العبد اللطيف ، ١٤١٠هـ ، ٢٣٨) .

ولذلك حدد الإسلام الوسائل التي ينقل بها الخبر من فرد لآخر بالأمور التالية :

١ – بالقدوة الحسنة الفاعلة الصادقة الأمينة والتي تحافظ على خلق المسلم .

٢ – بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة لاستلهام الفطرة السليمة .

٣ – صياغة الحقائق بصراحة وموضوعية ووضوح .

٤ – بالوسيلة المشروعة ، فليس في الإسلام ما يسمى بالغاية تبرر الوسيلة ، والوسيلة إذا لم تزود بالخير دخل مكانها الشر فيدخل كل بيت (جاد ، ١٤١٣هـ ، ص٢٠) ، وهذه الوسيلة الأخيرة يمكن تمثيلها بوسائل الإعلام التي سبق وتحدثنا عنها .

وهذه الوسائل إنما حددها الإسلام لتحقيق هدف سامٍ هو الهدف من خلق الإنسان ، عبادة الله تعالى وتحقيق الخلافة الإسلامية في الأرض بالصورة الواجبة .

وعلي المجتمع بكل مؤسساته التربوية أن يتبع تلك الوسائل ويحرص على غرسها داخل نفوس النشئ وأن يستخلص من ذلك الهدف السامي عدة أهداف فرعية يحرص على تحقيقها أثناء عملية التربية والتعلم . ويمكن تلخيص أهم تلك الأهداف في التالي :

١ – هداية الإنسان إلى الطريق المستقيم ونشر الدعوة دون تحريف أو تشويه .

٢ – تكوين العقلية والقدرة التي تُفنِّد الأخبار وتميز بين الحق منها والباطل .

٣ – الوقوف على الحقائق الثابتة والمعلومات الصحيحة ، ورؤية الأحداث من منظار إسلامي .

٤ – حماية المجتمع من الغزو الفكري ، وتنقية العقيدة من الافتراءات والحقائق من التشوية ، وليس في الإسلام ما يعرف بالحرب النفسية التي تستهدف عقل الإنسان ونفسيته وغسيل المخ .... بالإثارة والتخويف والتخريب والإرهاب (جاد ، ١٤١٣هـ ، ص١٩ ، ٢٠) .

وكما أنه يجب التزام التروي والتأني ، فكذلك يجب عدم التسرع في الحكم ، والحرص على إقامة العدل ، ليس في المعاملات القضائية فقط ، بل حتى في الآراء الشخصية ، والحكم على مدى صحة خبر أو كذبه بمعنى أنه يجب التزام العدل في جميع شؤون الحياة ، فهو هدف سامٍ نبيل حرصت على تحقيقه جميع الأديان السماوية . يقول تعالى ﴿ **ولايجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى** ﴾ [المائدة : ٨] .

" إن المربِّي المسلم أول الناس بالتزام جانب العدل ليضمن لنفسه الموضوعية في أقواله وأفعاله ، بل في جميع شؤون حياته ، هذا فضلاً عن الهدف الأسمى وهو نيل رضا الله ، وكرمه ، ومحبته ، باتباع أمره بالتمسك بالعدل " (الحربي ، ١٤١٤هـ ، ص٥٧) .

وفي حياة رسول الله ﷺ مواقف كثيرة تعلِّم كل مسلم عدم التسرع في الحكم إلا بعد التثبت وجمع المعلومات كاملة ، والوقوف على حقائق الأمور .

" وقد كانت الإتهامات الباطلة تحدث في عهد رسول الله ﷺ فينزل القرآن يبرئ المتهم ، ويبين الصواب والخطأ ، وينبه إلى طرق التخطيط ، والتحرِّي ، وعدم الاتهام بدون دليل " (جاد ، ١٤١٣هـ ، ٢٩) .

وفي حادثة الإفك رغم تأخر الوحي عن رسول الله ﷺ ، ورغم المعاناة الشديدة التي عاناها والشك الذي كان يشعر به طوال تلك المدة ، إلا أنه سعى للتثبت من الخبر بكل وسيلة ، ولم يحكم في الأمر ، ولم يقطع برأي في الموضوع ، رغم أنه يخص بيته وعرضه ، إلا بعد نزول القرآن بالوحي، والحكم ببراءة السيدة عائشة رضي الله عنها ، وإقامة الحد على من ثبتت عليه التهمة . لذلك لابد

على كل فرد مسلم سواء وجد نفسه في موقع المسؤولية وعليه البت في مسألة معينة أو حتى لو كان يعايش أمور حياته اليومية ، فلابد أن يرعى الله تعالى وأن " يحكم بين الناس بالحق والعدل ، ويتبين الحق قبل إصدار الحكم ، وألا يستثار ، ولايتعجل ، ولايأخذ بظاهر قول واحد قبل أن يسمع من الآخر قوله وحجته ، فقد يتغير وجه المسألة كله أو بعضه ويتكشف أن ذلك الظاهر كان خادعاً أو كاذباً أو ناقصاً . فالله تعالى قرر ضرورة إقامة العدل في المجتمع الإسلامي الذي يحمل مسؤولية الخلافة في الأرض ، وقيادة البشرية التي لاقيام لها إلا على أساس العدل والدعوة إلى الحق " (جاد ، ١٤١٣هـ ، ٣٤) . قال تعالى : ﴿**الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**﴾ [الحج : ٤١] .

ويمكن تحديد التطبيقات التالية في هذا الموضوع كما يلي :

١ – لايجوز اتهام شخص ما من غير بينة ولا ثبت .

٢ – الذين يشهدون بدافع العاطفة ـ قرابة أو جنس أو دين ـ ولايقولون كلمة الحق فهو خونة لأنفسهم ولله ولرسوله .

٣ – على الإنسان أن يقول كلمة الحق لايخشى الناس ، إنما يخشى الله ، وأنه اذا استطاع خداع حكام الدنيا فكيف بالوقوف بين يدي الله لاتخفى عليه خافية .

٤ – تقرير شخصية العقوبة .

٥ – على القاضي ألا يندفع ، ولايعجل حتى يسمع من الطرف الآخر ، وإن كان المدعي قد ظهر مظلوماً ظلماً صارخاً " (جاد ، ١٤١٣هـ ، ص ٣٩ ، ٤٠) .

الفصل السادس
الخاتمة والنتائج والتوصيات

الفصل السادس
الخاتمة والنتائج والتوصيات

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على إمام الدُعاة ، ومُعلِّم الناس الخير ، محمد بن عبد الله ﷺ وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين ، وبعد :

في ختام هذا البحث تود الباحثة أن تحمد الله على توفيقه وعونه على أن يسّر إكمال هذا البحث ، وتأمل أن تكون قد وُفقت في إبرازه بالشكل المطلوب ، وأن تكون قد قدمت عملاً نافعاً يستفيد به كل قارئ له .

لقد تضمن هذا البحث دراسة لحادثة الإفك ، ومحاولة لاستنباط أهم المبادئ التربوية المتضمنة في تلك الحادثة . ومن خلال الدراسة أمكن التوصل إلى أن هذه الحادثة تتضمن العديد من الآداب الاجتماعية ، والحدود الشرعية ، وتبرز مجموعة من التعاليم التي يستفيد منها البشر في إقامة مجتمعهم الإسلامي المثالي .

وفي سبيل الوصول إلى استنباط تلك المبادئ وتطبيقها ، تم تقسيم هذا البحث إلى : فصل تمهيدي ، وفصل ختامي ، وأربعة فصول رئيسية .

أما الفصل التمهيدي «الأول» فهو عبارة عن خطة البحث ، ويتضمن موضوع الدراسة ، وأهمية الموضوع ، وأهم الأهداف التي تسعى الدراسة لتحقيقها ، كما يشير إلى أسئلة الدراسة التي تحاول هذه الدراسة الإجابة عليها ، والمنهج الذي اعتمدته الباحثة في ذلك .

أما الفصل الختامي « السادس » فقد احتوى على أهم ما ورد في هذه الدراسة ، وأهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها .

وقد خُصِّص الفصل الثاني للحديث عن حياة السيدة عائشة رضي الله عنها بصورة موجزة مختصرة : نشأتها ، وأهم صفاتها ، ومكانتها عند رسول الله ﷺ . أما الفصل الثالث فقد عرض تفاصيل حادثة الإفك كما وردت في كتب الحديث والسيرة النبوية الشريفة . وقد تم تخصيص الفصل الرابع لاستنباط أهم المبادئ التربوية التي دعا إليها الإسلام والمستنبطة من حادثة الإفك ، والتي وجَّه بها نفوس البشرية لما فيه سعادتها ، أفراداً ومجتمعات . أما الفصل الخامس فقد تناول أهم التطبيقات التربوية لتلك المبادئ .

وخير ما تختم به الباحثة رسالتها أن تسأل الله عزّ وجلَّ أن ينفعها بهذا العمل ، ويجعله في ميزان حسناتها يوم القيامة ، وينفع به أمة الإسلام ، فيكون طريقاً للفضيلة والعِفَّة والطُّهر .

كما تسأل الله تعالى الصفح والعفو عن التقصير والنقص والعيب ، فإنها من طبيعة الإنسان ، ولم يكن هذا تعمداً وإنما هو نسيان .

والله تعالى أعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .

النتائج

إن أهم النتائج التي خلصت إليها الباحثة من خلال فصول الدراسة السابقة يمكن إيجازها في النقاط التالية :

١ – إن محنة الإفك وإن كانت محنة قاسية وشراً وبلاءً في ظاهرها ، إلا أن فيها الكثير من أوجه الخير والرفعة للرسول ﷺ وصحابته والمجتمع المؤمن ، حيث فضح الله تعالى بها المنافقين ، وأظهر خطرهم لعامة المسلمين ، وهي ابتلاء من الله تعالى لرسوله ﷺ ولصحابته الكرام ، ليس الغرض منه الغضب أو العقاب ، وإنما الغرض منه اختبار وامتحان قلوبهم وإيمانهم ، ورفع درجاتهم ، وتكفير ذنوبهم . يقول عزَّ وجلَّ : ﴿ **أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون** ﴾ [العنكبوت : ٢٠] .

٢ – إن حادثة الإفك أبرزت منهجاً إسلامياً فريداً في كيفية مواجهة الشائعات والسبيل لمقاومتها ، ومحاربة مروجيها ، حيث جاء الإسلام بالتحذير من اللغو والحث على حفظ اللسان ، ونهى عن اتهام الناس بالباطل . فهي درس تربوي خُلُقي للمجتمع المسلم يهدف إلى تربية جيل مسلم قوي ينشأ على الخلق الإسلامي لتقويم السلوك الفردي والأسري والاجتماعي .

٣ – بينت حادثة الإفك حكمة رسول الله ﷺ وبراعته في تصريف الأمور والقضاء على الفتنة التي كادت تقع في المجتمع المدني في ذلك الوقت ، كما بيَّنت قدرته ﷺ على التعامل مع الناس في ظل هذه الفتنة ومواجهتها ومعالجتها .

٤ – أظهرت الحادثة الجانب الإنساني في شخصية رسول الله ﷺ ، وأن الوحي من عند الله تعالى وليس من عنده ﷺ ، وأنه لا يعلم الغيب إلا ما أطلعه الله تعالى عليه ، وفي ذلك رد على شبهات المرجفين والمشككين حول هذه القضية .

٥ – براءة السيدة عائشة رضي الله عنها مما نُسب إليها إفكاً وزوراً ، وأن من اتهمها بشئ من ذلك في أي زمن من الأزمان بعد نزول آيات الإفك إنما هو كاذب أفَّاك ، بل كافر مُحاسب من الله تعالى ، وأن حادثة الإفك إنما هي فضيلة فُضِّلَت بها السيدة عائشة رضي الله عنها حيث ظهرت من خلالها عفتها وطهرها ، وعِظَم مكانتها عند الله تعالى وعند رسول ﷺ .

٦ – استخلاص صفات الزوجة والمرأة المثالية من خلال حياة السيدة عائشة رضي الله عنها وصفاتها ومن خلال كيفية مواجهتها وسلوكها تجاه الأقاويل التي أثيرت حولها .

٧ – ضرورة تحكيم شرع الله تعالى والحرص على الرجوع إلى مصادر الشريعة الإسلامية في كل الأمور ، صغيرة كانت أو كبيرة ، دنيوية أم دينية ، حيث أنها الوسيلة الوحيدة التي تكفل سعادة الفرد والأسرة والمجتمع ، ومن هذا المنطلق أكدت الشريعة الإسلامية على أهمية مراعاة تنفيذ عقوبات الحدود في الإسلام ، فهي التي تحقق الاستقرار والأمن في المجتمع ، وتنشر العدل بين أفراده .

٨ – بيان دور المنافقين الكبير في إشاعة حادثة الإفك ، ومحاولاتهم المستمرة لإحداث الفُرقة والاختلاف في صفوف المسلمين ، ومحاربتهم ، وهزيمتهم نفسياً وأخلاقياً ، وذلك بالتشكيك في قدوتهم الأولى ، السيدة عائشة رضي الله عنها .

٩ – من خلال حادثة الإفك يمكن معرفة خطر النفاق والكذب وأثرهما السيئ على الأمة ، ودورهما في نشر الشائعات ، كما يمكن معرفة الآثار النفسية المدمرة : والهزيمة المعنوية التي تنتج عن انتشار الشائعات في المجتمع ، وأن الغرض الأساسي إنما هو إثارة الفتن ، وتفريق وحدة الصف، والتشكيك في نماذج القدوة وفقد الثقة بينهم . فالنفاق ظاهرة اجتماعية مَرَضِيّة توجد بسبب العديد من الأسباب الخُلُقية والعقلية ، الاجتماعية والنفسية ، ويجب التعامل معها بالحكمة ، ومواجهتها بحزم .

١٠– أبرزت الحادثة قوة الرابطة الدينية على كل ما عداها من روابط أخرى ، فلا الأبوة ، ولا الأمومة ، ولا الأخوة ، ولا الرابطة الزوجية تستحق الإيثار والتقديم إلا رابطة الدين ، فهي الكفيلة بسعادة البشرية ووحدتها وقوتها ، ونصرة المؤمنين بعضهم لبعض لا بد أن تكون قائمة على أساس العقيدة ، فهي من أقوى الروابط ، ولايمكن أن تقف أمامها أي رابطة أخرى .

١١– أظهرت هذه الحادثة أن من حُسن الإسلام ومقتضيات كمال الإيمان الصبر عند الشدائد ، والرضى بالقضاء والقدر ، والتسليم لأمر الله تعالى ، حيث أن ذلك هو خُلُق الأنبياء والصالحين والأئمة وقادة المجتمع ، وأن المؤمن سينال جزاء صبره خير الجزاء .

١٢- بيّنت آيات الإفك أهمية التثبت من الأخبار ، وأنه لا بد من التأكد من كل ما يقال ، وأن المسلم الحق لا بد أن ينأى بنفسه عن أن يكون وسيلة من وسائل نقل الشائعات ، ويظهر هذا المفهوم من خلال موقف الإسلام من الغيبة والنميمة ، ونهيه الشديد عنهما ، وأن من واجب المسلم أن يتحرى الحقائق فيما يصل إليه من أخبار ومعلومات ، والتثبت من مصادرها ، وعدم التعرض لها بمجرد النقل أو السماع .

١٣- التكافل الاجتماعي من المبادئ التربوية التي أشارت إليها الحادثة ، فإنه لا يخفى على أحد مدى أهمية المبدأ في نشر الإخاء والمودة بين الأفراد ، وتحقيق المساواة في المجتمع .

١٤- قررت حادثة الإفك قاعدة إسلامية أساسية تعتبر المحور الرئيسي للعلاقات الاجتماعية وهي حُسن الظن بالآخرين ، فحثّت على أن يظن المؤمنين والمؤمنات بأنفسهم خيراً ، وأن يحملوا الأمور على ظاهرها ، وأن يتركوا أمر النيات إلى الله تعالى ، وألا يحكموا على أمر من أمورهم بالظن والشك ، ولكن لا بد من توفر الحقائق واليقين .

١٥- عناية الإسلام الشديدة وحرصه على نشر الأخلاق الإسلامية بين الأفراد ، وأثر التعامل بها في غرس البذور الطيبة في حياة وسلوك المسلم ، فالكلمة الطيبة ، والدعوة إلى الله بالحِكمة والموعظة الحسنة ، والرفق واللين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، هي من الأمور التي دعت إليها الشريعة الإسلامية السمحة .

١٦- التحذير من الشيطان ، وأنه أساس كل المصائب والذنوب ، وأنه يعمل باستمرار للوقيعة بين المسلمين والعمل لإبعادهم عن الدين الحق .

١٧- إن وسائل الإعلام بكل أجهزتها تؤدي دوراً مهماً وحيوياً في سبيل نشر الحق والعدل والخير إذا ما استُخدِمت الاستخدام الصحيح ، وأنها قد تكون معول هدم وخراب إذا ما استُخدِمت لنقل الأخبار الكاذبة والشائعات .

التوصيات

على ضوء ما أسفر عنه البحث من نتائج ، توصلت الباحثة إلى بعض التوصيات ، منها :

١ – ضرورة اعتناء الأمة بالقرآن الكريم والسُنة النبوية الشريفة ، وسيرة السلف الصالح ، والاستفادة منها عملياً في المؤسسات التربوية لكي يمكن تشكيل شخصيات الأفراد تشكيلاً إسلامياً ، ولاستخلاص كيفية مواجهة الأفكار والمفاهيم الدخيلة ، والحفاظ عليها من التيارات والأفكار والقيم الوافدة المعاكسة للدين الإسلامي .

٢ – العمل على تثبيت العقيدة الصحيحة في نفوس المتعلمين ، وذلك عن طريق استخدام الأساليب القرآنية في عرض الأسس العقدية من خلال تدريس المواد الدينية ، واستخدام الوسائل التعليمية المتنوعة الملائمة ، والإقناع بالأوامر والنواهي ، وأنه إنما يقصد منها جلب الخير له ، ودفع الضُّر والأذى عنه ، فبعض الأساليب التربوية القرآنية لها أكبر الأثر في ذلك ، مثل استعمال المنطق ، والمحاكاة العقلية ، وأسلوب القصة ، وأسلوب المثال والقدوة .

٣ – تنمية القِيم الخلقية الإسلامية وترسيخها في شخصيات المتعلمين وسلوكهم ، وذلك عن طريق استخدام أسلوب النصح والإرشاد ، وتوفر القدوة الحسنة ، ومن أبرز تلك القيم : الحث على الإنفاق ، وكظم الغيظ ، والعفو عن الناس ، والاعتدال في جميع الأمور ، وضبط النفس ، والتصرف بحكمة في كل الأحوال .

٤ – ضرورة توفر القدوة الصالحة في البيئة الاجتماعية التي يعيشها الفرد ، بحيث يشاهدها أمامه في كل وقت ، وفي كل مكان . فالفرد يحتاج إلى القدوة في جميع مراحل حياته طفلاً وشاباً وكهلاً ، فلا بد من توفر النموذج الذي يكون سلوكه مطابقاً لقوله ، متمسكاً بالأخلاق الفاضلة ، مطبقاً للقيم الاجتماعية الأصيلة . وغياب القدوة قد يكون عاملاً رئيسياً في ضعف

النفوس البشرية وبُعدها عن طريق الصواب . فالوالدين لا بد أن يكونا قدوة ، بحيث لا يرى الأبناء منهما ما يتنافى والقيم الإسلامية ، ولا ما يخالف السلوك السوي ، ولا يسمعون منهما إلا كل كلمة طيبة . وكذلك المعلم في المدرسة ، والإمام في المسجد ، والقائد في موقعه ، وكل من كان يمثل نموذجاً يقتدي للنشء .

٥ – تعويد الأفراد على أسلوب التفكير العِلمي المنطقي ، وذلك عن طريق تنمية عادة الاطلاع والقراءة ، والتعويد على استخدام أسلوب الملاحظة العِلمية للوصول إلى الحقائق ، وتجنب الشبه والظنون ، والاستناد إلى الحجج والبراهين المنطقية والحقائق ، وجعل ذلك الأسلوب طريقة ومنهجاً في المدارس .

٦ – إكساب الطلاب القدرة على التفكير السليم المجرد عن الأهواء الذاتية المقترنة بأسلوب الحوار والنقاش ، وأن تكون طريقة التفكير موجهة نحو الكيفية التي تُرضي الله ورسوله ﷺ .

٧ – استخدام أسلوب العقاب كآخر وسيلة تربوية ، فيبدأ بالرفق واللين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ثم يلجأ إلى الترهيب والتشديد ، ثم ينتهي الأمر بالعقاب ، وهذا هو منهج الإسلام الوارد خلال حادثة الإفك .

٨ – الاهتمام بمبدأ التكافل الاجتماعي ، وذلك عن طريق انشاء الجمعيات التعاونية ، والمشاريع الخيرية ، والمساهمة العملية في إنجاز المصالح العامة ، وذلك بإعانة المحتاج ، وإغاثة الملهوف ، وتفريج كربة المكروب ، وللتكافل الاجتماعي مظاهر متنوعة تتضح من خلال التعاون بين الفرد وأسرته ، وبينه وبين مجتمعه ، كجيرانه وأصدقائه ، كما أن هذا المبدأ يتضح في التعاون لرفعة شأن الأمة ، وإعلاء قدرها بنشر التعليم والتمسك بالتعاليم الإسلامية السمحاء .

٩ – تعويد النشء على نقد الذات ، وتقبل النقد الهادف ، وتربية الضمير ، والفطرة البشرية ، وتقبل الآراء والملاحظات الموضوعية ، أو ما يسمى بنشر أدب الخلاف ، وذلك بالتشجيع على إبداء الرأي ، والابتعاد عن التسلط ، وفتح الباب للحوار والمناقشة .

١٠– محاربة الكذب والنفاق ، وتعويد الأفراد على التزام الصدق في جميع الأقوال والأفعال ، وتحري الأمانة والعدل في كل الأمور ، وذلك يتحقق بالدرجة الأولى عن طريق توفر القدوة الحسنة .

١١– ضرورة اتخاذ الخطوات الوقائية العملية لتوفير أسباب الوقاية للفرد ، والحفاظ على المجتمع من انتشار المنكرات الاجتماعية ، وذلك عن طريق :

* نشر التوعية الإسلامية الصحيحة .
* اتخاذ جميع الإجراءات اللازمة للمساعدة على الزواج وتيسير سُبُله ، وإزالة جميع العقبات التي من شأنها أن تعوق عملية الزواج .
* منع الاختلاط لسد منافذ الشيطان وحفظ الأعراض .
* الحث على غض البصر والأمر به .
* الحث على البُعد عن مواطن الفتنة والشبهات وتثبيت ذلك في النفوس عن طريق غرس الخوف من الله تعالى ، والمراقبة الذاتية ، و ذلك بزرع الثقة ، واعطاء الحرية الشخصية بالمقدار المطلوب ، لا إفراط ولا تفريط .
* عدم التعاون في أمر نقل الشائعات بين الأفراد .
* توفير الظروف الملائمة التي تجعل الالتزام بالدين واتِّباعه أمراً طبيعياً متيسراً .

١٢ – ضرورة مواجهة الشائعات ومحاربة تأثيراتها السلبية على الأفراد والمجتمعات ، وذلك بالتالي :

● الالتجاء إلى الله تعالى ، والاحتفاظ بالثقة في النفس ، والاستمرارية على الصواب .

- عدم ترديد الشائعة وإعادة ذكرها لأن ذلك مما يساهم في نشرها .
- عدم المبالغة في رد الفعل عند سماع الشائعة .
- استخدام أساليب مخططة تقنية لإظهار الحقائق .
- إقامة الحد علناً على من ثبت عليه القيام بشئ من ذلك ، والتشهير به جزاءً له وردعاً لأمثاله .

١٣- شغل وقت الفراغ بإيجاد مجالات أخرى مفيدة ، واستغلال الوقت بما يعود بالنفع والفائدة ، وبما يصرف اهتمام الأفراد عن المنكرات والمعاصي ، وذلك بالحِرص على إقامة العبادات الجماعية كأداء الصلاة ، وفتح النوادي والمراكز التي تنمي المهارات العقلية والبدنية ، كالنوادي الرياضية ، والمكتبات العامة ، وإقامة الندوات والمحاضرات التي تناقش الموضوعات التي تشغل تفكير الشباب ، وتوفير الظروف التي تشجع على ارتياد هذه الأماكن . كما أنه لا بد من توفير مناخ علمي يشجع على تصحيح طريق التعامل مع الوقت ، وذلك من خلال إظهار أهمية الوقت ، ومعالجة السلبيات ، مثل التسويف ، والفوضى ، وعدم التخطيط .

١٤- اتباع طريقة منهجية موضوعية للتأكد من صحة أي خبر والحكم عليه يتمثل في الخطوات التالية :

- التأكد من نزاهة المصدر .
- ترابط الخبر وعدم وجود متناقضات فيه .
- سماع الطرفين .

١٥- وسائل الإعلام لها دور بالغ الأهمية إذا ما أُحْسِن استخدامها ، لذلك لا بد أن تكون وسيلة لعرض الإسلام ، والتعريف به ، والدعوة إليه ، وذلك ببيان أوجه الإعجاز في القرآن ‹اللغوي والتشريعي والعِلمي› ، والتوعية بالمفاهيم الإسلامية ، وكشف الأفكار والأخلاق التي تتعارض

مع المبادئ الإسلامية ، والتصدّي لمظاهر الغزو الثقافي ، ووضع تصور إسلامي تربوي لعلاج الآثار السلبية للإعلام الوافد ، وكل ذلك يتم عن طريق الأمور التالية :

* إعادة النظر في كل ما يُعرض من خلال وسائل الإعلام المرئية أو المسموعة أو المقروءة .
* زيادة العناية بالبرامج الدينية والثقافية .
* إيجاد إعلام إسلامي بديل يأخذ مكانته الصحيحة بحيث يخدم المبادئ والقيم التربوية ، وأن تستخدم جميع الوسائل والإمكانيات المادية والعقلية والتقنية بحيث يَبرز الإعلام الإسلامي ، ويؤدي دوره المطلوب .
* أن يكون للإعلام الإسلامي دوره الصحيح في الدعوة إلى الزواج وتيسير أسبابه .
* تقديم وعرض ما يناسب كل فرد بصورة ملائمة بحيث تحقق الهدف منها ، وهو ترسيخ العقيدة ونشر الأفكار الإسلامية .
* عقد المؤتمرات والندوات ، ونشر الوثائق والكتب ، وطرح المشكلات ومناقشتها للوصول إلى علاج لها .
* مواجهة الشائعات في حينها ، وإتاحة الفرصة لنقضها ، وبيان مدى كذبها وضررها ، كما أنه يجب ألا تستخدم أعراض الناس في وسائل الإعلام كمادة للتسلية واللهو .
* أن تكون للإعلام وظيفة تربوية بحيث يشارك المؤسسات التربوية الأخرى في المجتمع لتحقيق أهداف التربية بحيث تبني شخصية الفرد بناءً شاملاً متكاملاً ، لذلك لا بد من التنسيق بين كل وسائل التربية – بما فيها وسائل الإعلام – التي من شأنها تولي عملية التربية والتعليم والتثقيف والترفيه أن تعمل كفريق واحد بحيث لا تذهب الجهود هباءً ، ولا تهدم إحدى هذه الوسائل ما بنته وسيلة أخرى .
* ألا يتعارض ما تبثه وسائل الإعلام من مواد للتسلية والترفيه مع الدين الإسلامي ، وأن يكون هدفها تثقيفي تعليمي بالدرجة الأولى ، وليس مجرد تضييع للوقت واللهو .

قائمة المراجع

قائمة المراجع

أولاً : القرآن الكريم

ثانياً : السنة النبوية

١ - أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي . (د.ت) سنن أبي داود ، بيروت : دار إحياء التراث العربي . راجعه وضبطه وعلق عليه : محمد محي الدين عبدالحميد .

٢ - البخاري ، أبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزيه البخاري الجعفي .(د.ت) صحيح البخاري ، بيروت : إدارة الطباعة المنيرية ، عالم الكتب .

٣ - الترمذي ، محمد بن عيسى . (٢٧٩هـ) سنن الترمذي ، دار الكتب العلمية . بيروت : لبنان . تحقيق : أحمد محمد شاكر .

٤ - مسلم ، أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيريُّ النيسابوريُّ . (١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م) صحيح مسلم ، دار إحياء الكتب العربية : عيسى البابي الحلبي وشركاه . تحقيق وتعليق : محمد فؤاد عبدالباقي .

٥ - النسائي ، أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب . (١٤١١هـ - ١٩٩١م) السنن الكبرى ، بيروت : دار الكتب العلمية . تحقيق : د. عبدالغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن .

ثالثاً : المراجع

(١) ابن أبي شيبة ، عبدالله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي . (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) المصنف في الأحاديث والآثار ، بيروت : دار التاج . تقديم وضبط : كمال يوسف الحوت .

(٢) ابن تيمية ، أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحراني . (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م) تفسير سورة النور ، بومباي : الدار السلفية . راجع نصوصه وخرَّج أحاديثه : د. عبدالعلي عبدالحميد حامد .

(٣) ابن الأثير ،مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد . (١٣٨٣هـ) النهاية في غريب الحديث ، بيروت : المكتبة العلمية . تحقيق : الزواوي والطناحي .

(٤) ابن حجر ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني . (١٤٠٨هـ) ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، القاهرة : المكتبة السلفية . تحقيق محب الدين الخطيب ، ترقيم : محمد فؤاد عبدالباقي ، إشراف : قصي محب الدين الخطيب .

(٥) ابن حنبل ، أحمد . (١٤١١هـ) مسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر .

(٦) ابن سعد ، محمد . (١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م) الطبقات الكبرى ، بيروت : دار صادر .

(٧) الجوزيه ، ابن القيم . (١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م) زاد المعاد في هدي خير العباد ، سوريا ـ الكويت : مؤسسة الرسالة – مكتبة المنار الإسلامية . حقق نصوصه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه : شعيب الأرناؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط . توزيع دار الريان للتراث ، ط١٥ .

(٨) ابن كثير ، أبي الفداء إسماعيل . (١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م) السيرة النبوية ، القاهرة : مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه . تحقيق : مصطفى عبدالواحد .

(٩) ابن منظور ، أبي فاضل جمال الدين محمد بن مكرم . (د.ت) لسان العرب ، بيروت : دار صادر .

(١٠) ابن هشام . (١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م) السيرة النبويةُ ، مصر : شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، سلسلة تراث الإسلام (١) ، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها: مصطفى السقا – إبراهيم الإبياري . عبدالحفيظ شلبي . ط٢ .

(١١) بكر ، عبدالجواد سيد . (١٩٨٣م) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف ، القاهرة : دار الفكر العربي ، مكتبة التربية الإسلامية ، الكتاب الخامس .

(١٢) جابر ، عبدالحميد جابر وكاظم وأحمد خيري . (١٩٩٠م) مناهج البحث في التربية وعلم النفس ، القاهرة : دار النهضة العربية .

(١٣) جاد ، أحمد أحمد . (١٤١٣هـ – ١٩٩٣م) منهج القرآن في التثبت من الأخبار ، تقديم : مصطفى مشهور ، الإسكندرية : دار الدعوة .

(١٤) جمال ، أحمد محمد . (١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م) نحو تربية إسلامية ، جدة : تهامة ، الكتاب العربي السعودي ، رقم ١١ .

(١٥) جمعة ، أحمد خليل . (١٤١٥هـ – ١٩٩٤م) نساء أهل البيت في ضوء القرآن والحديث ، دمشق ، بيروت : اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع .

(١٦) الحاكم ، أبي عبدالله الحاكم النيسابوري . (د.ت) المستدرك على الصحيحين وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي ، بيروت : دار المعرفة .

(١٧) حجازي ، محمد محمود . (١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م) التفسير الواضح ، القاهرة : مطبعة الاستقلال الكبرى ، ط٤ .

(١٨) الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان . (١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م) سير أعلام النبلاء ، بيروت، مؤسسة الرسالة ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط . ط٢ .

(١٩) رشوان ، علي محمود . (١٤١٥هـ – ١٩٩٤م) حديث الإفك من المنظور الإعلامي ، مصر : انترناشونال برسي .

(٢٠) سالم ، إبراهيم علي . (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م) النفاق والمنافقون في عهد رسول الله ﷺ ، مصر : دار الشعب ، ط٢ .

(٢٢) السهلي ، عبدالرحمن . (د.ت) الروض الآنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، القاهرة : دار الكتب الحديثة . تحقيق وتعليق وشرح : عبدالرحمن الوكيل .

(٢٣) الشايع ، خالد بن عبدالرحمن . (١٤١٤هـ) طهارة بيت النبوة وغيرة الله لعرض نبيه ﷺ «حادثة الإفك وما فيها من أحكام وعبر» دراسة تحليلية مبسطة ، الرياض : دار الجلالين . دار بلنسية ، توزيع مؤسسة الجريسي .

(٢٤) شديد ، محمد . (١٩٨٩م) منهج القرآن في التربية ، القاهرة : دار التوزيع والنشر الإسلامية .

(٢٤) الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد . (د.ت) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، بيروت ، محفوظ العلي .

(٢٥) الطنطاوي ، محمد سعيد . (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م) هل في الخير شر ، حيدر آباد ، بيشاور ، باكستان : دار الفتح .

(٢٦) طهماز ، عبدالحميد محمود . (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) السيدة عائشة أم المؤمنين وعالمة نساء الإسلام ، دمشق : دار القلم ، ط٤ .

(٢٧) عبدالباقي ، زيدان . (١٩٧٩م) علم النفس الاجتماعي في المجالات الاجتماعية ، مصر : مكتبة غريب .

(٢٨) العبد اللطيف ، عبدالحليم بن إبراهيم . (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) حديث الإفك كما جاء في سورة النور وأثر المنافقين فيه ، بريدة : نادي القصيم الأدبي .

(٢٩) عرجون ، محمد الصادق إبراهيم . (د.ت) محمد رسول الله منهج رسالة ، بحث وتحقيق ، دمشق : دار القلم .

(٣٠) عزت ، محمد فريد محمود .(١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) بحوث في الإعلام الإسلامي ، توجيهات إسلامية لمقاومة الشائعات ، لنشر أخبار الجريمة ، لنشر أخبار الجنس ، جدة : دار الشروق .

(٣١) العقاد ، عباس محمود . (١٩٨٨م) الصدِّيقة بنت الصديق ، مصر : دار المعارف ، ط١٢ .

(٣٢) الفوَّال ، صلاح مصطفى (د.ت) التصوير القرآني للمجتمع ، نظرية القرآن الاجتماعية ، مصر : دار الفكر العربي .

(٣٣) فودة ، حلمي محمد وعبدالله عبدالرحمن صالح (١٤١١هـ - ١٩٩١م) المرشد في كتاب الأبحاث ، جدة ، دار الشروق ، ط٧ ، مزيدة ومنقحة .

(٣٤) القرطبي ، أبي عبدالله بن محمد بن أحمد الأنصاري . (١٩٦٦م) الجامع لأحكام العربي ، بيروت : دار إحياء التراث العربي .

(٣٥) القرني ، عبدالله سليمان حبان . (د.ت) بعض التوجيهات التربوية المستنبطة من خطب عمر بن الخطاب .

(٣٦) قطب ، سيد . (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) في ظلال القرآن ، مصر : دار الشروق ، ط ١٥ .

(٣٧) مبيِّض ، محمد سعيد . (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) موسوعة حياة الصحابيات ، سوريا : دار الثقافة .

(٣٨) مجمع اللغة العربية . (د.ت) المعجم الوسيط ، بيروت : دار إحياء التراث العربي . قام بإخراجه : إبراهيم مصطفى ، أحمد حسن الزيات ، حامد عبدالقادر . محمد علي النجار ، أشرف علي . أشرف على طبعه : عبدالسلام هارون .

(٣٩) محمد ، علي عبدالحليم . (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) التربية الإسلامية في سورة النور ، مصر : دار التوزيع والنشر الإسلامية ، سلسلة التربية في القرآن الكريم (٢) .

(٤٠) المقدسي ، أبي محمد عبدالغني بن عبدالواحد . (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) حديث الإفك ، الرياض : دار عالم الكتب للنشر والتوزيع ، تحقيق : أبي إسماعيل هشام بن إسماعيل السقا ، مراجعة : أبي عبدالله محمود بن محمد الحداد .

(٤١) المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي (د.ت) إمتاع الأسماع ، القاهرة : د.ن ، صححه وشرحه : محمود شاكر .

(٤٢) المودودي ، أبو الأعلى . (١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م) تفسير سورة النور . د.م : دار الفكر ، تعريب : محمد عاصم الحداد .

(٤٣) النحلاوي ، عبدالرحمن . (١٩٩١م) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع ، دمشق : دار الفكر .

رابعاً : المجلات والدوريات والرسائل الجامعية

(١) أشمل ، محمد بلال ، فلسفة الإعلام في الإسلام ، **مجلة رسالة الجهاد** ، مالطا : الجمعية العالمية للدعوة الإسلامية ، ذو القعدة ١٤١٠هـ - يونيو ١٩٩٠م ، ص ٤٤ - ٤٩ ، مجلة شهرية إسلامية .

(٢) الحربي ، حامد سالم عايض . (١٤٠٤هـ) مدى تطبيق المدرسة للقيم التربوية المستنبطة من سورة الحجرات ، **رسالة ماجستير في التربية الإسلامية** ، إشراف : محمد جميل خياط .

(٣) المرزوقي ، آمال حمزة . (١٤٠٢هـ) النظرية التربوية الإسلامية ، جدة : **سلسلة رسائل جامعية** (٧) .

(٤) المقرئ ، أحمد محمد يحيى . (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) إشراف : محمد محمد أبو زهو ، جامعة الملك عبدالعزيز ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، قسم الدراسات العليا الشرعية ، فرع الكتاب والسنة .

(٥) المليجي ، محمد السيد . التربية الإسلامية والتقدم الحضاري ، **مجلة منار الإسلام** ، الإمارات : رجب ١٤١٧هـ .

(٦) نويري ، إبراهيم . إطار عام لاستراتيجية الإعلام الإسلامي ، **مجلة رسالة الجهاد** ، مالطا : الجمعية العالمية للدعوة الإسلامية ، ذو القعدة ١٤١٠هـ - يونيو ١٩٩١م ، ص ٩٨ - ١٠٥، مجلة شهرية إسلامية .